الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

رحلة تدبر

جزء عم

دار القلم
دمشق

جُزْءُ عَمَّ

دار القلم
دمشق

أسّسها:
محمد علي دولة رحمه الله تعالى
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة الثانية
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

رِحلةُ تَدَبُّر

جُزءُ عَمَّ

بقلم
الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

دار القلم
دمشق

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد :

لا تستطيع أن تتصوَّر ما يمكن أن يصنعه القرآن في حياة إنسان حتى تقرأ ما صنعه في تلك الأجيال التي بُعث فيها ﷺ، الأجيال التي كانت تكوِّم التراب وتحلب اللبن فيه ثم تتعبَّد له حتى يجف، وتتوجه خاشعة لحجر في فلاة من الأرض حتى تحتاجه أثافي لقدر طبخها، وتقوم لكومة تمر فإذا ما جاعت أكلته حتى إذا ما نزل عليها القرآن ولامس مسامعها وشغاف قلوبها صنع منها أجيالاً لا تتكرر على مر التاريخ!

ولا أعلم مشروعاً يبني الإنسان روحاً وفكراً ومفاهيم وتصورات كتدبر كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

وقد حاولت من خلال تدبر (جزء عَمَّ) أن أقدم صوراً لتلك الأفكار والمفاهيم والتصورات التي جاء بها القرآن الكريم لبناء الإنسان وإعادة

تشكيل تصوراته، وأحسب أنني وضعت سلماً للحياة، وأغريت الجادين بمحاولة الصعود لرؤية ما ينتظرهم من أحلام، والله المسؤول أن يجري به أحلام صاحبه في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المؤلف

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

المملكة العربية السعودية

محافظة القنفذة ـ حلي

Mashal001@gmail.com

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ
أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا
اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا
﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا
﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ
مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ
فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ
فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾
إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ

شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا
﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾
رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ
يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ
صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ
أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ
يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾.

• ضياع الرؤية أخطر ما يواجه الإنسان في حياته كلِّها ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ يتساءلون على وجه العبث والاستهزاء عن أخطر قضية في حياتهم وأولى الأولويات. ماذا بقي لهم؟!

• إذا ألفت النفوس شيئاً، وطال زمن الألفة صعب معه قبول الحق، واحتاج إلى جهود مضاعفة لنزعه من تلك النفوس، فهذه الجاهلية التي امتدت قيمها في النفوس زمناً طويلاً احتاج الرسول ﷺ لتصحيح بعضها، وإزالة بعضها الآخر إلى زمن مليء بالجهود والمحاولات ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾.

• العادات كالقيد الذي يأسر صاحبه، ويجعله يتحرَّك بطريقة ثقيلة في مساحة من الأرض، وكم من عادة أعاقت صاحبها عن التفكير، وظل أسيراً لها فترة طويلة من حياته.

إنَّ الخلاف الدائر في الوحي بين هؤلاء جاء في جزء منه لركام العوائد التي تربَّت عليها هذه الأمم من زمن طويل. وما زالت بعض العوائد تأخذ حظها في واقعنا، وتقف معارضة للوحي في كثير من الأحيان. وقُلْ مثل ذلك في حياتنا الشخصية، فإن جزءاً من العادات التي تربى عليها الإنسان هي سبب ضعف تفكيره، وانحراف سلوكه، وذبول مشروعه ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

• من أسوأ الأشياء في حياة بعضنا أنه يؤجِّر عقله لغيره، فيفكِّر بتفكيره، ويتحدث بنمطه، ويحلل من خلال رؤاه، ويصبح أجيراً دون وعي، فهذه الأجيال التي تختلف وتتنازع في الوحي كانت مؤجِّرة عقولها لغيرها؛ لذا لم تستطع أن تمنح نفسها فرصة للتفكير في تصديق هذا الوحي رغم كل الدلائل والبيِّنات على صحته. وفي زماننا هذا القضية ذاتها تأخذ حظها من نفوس كثيرين، فترى من يؤجِّر عقله لقناة فضائية، أو صحيفة يومية، أو لكاتب معين، أو محلل، ويبقى في النهاية أجيراً في أعز ما يملك. وفي القرآن عرض متنوِّع وكثير لإعادة هذه العقول لأصحابها من خلال منهج التفكير المبثوث في ثناياه ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

• المعتقدات السائدة، والأفكار التي بنتها الجاهلية، والزمن الطويل الذي عاشت فيه تلك القيم والمعتقدات لا يمكن أن تُجتثَّ من عقول

أصحابها بحديث عابر في وقت قصير، وإنما يحتاج اقتلاع هذا الموروث الكبير إلى زمن طويل من العمل على المفاهيم، والأفكار، والقيم حتى تأتي في النهاية على كمال المشروع، ولعل هذا هو السر وراء قضية عناية السور المكية باليوم الآخر، والبعث منها على وجه الخصوص ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

• كل ما يتعلَّق بيوم القيامة من أخبار وأحداث حقيق بالقراءة والفهم والإدراك، وفي وصف الله تعالى هذا اليوم بالنبأ العظيم إشارة إلى هذا المعنى الكبير ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ ومن فقهك أن تعطي هذه الأحداث حظَّها من العمل قبل الفوات!

• الكبار يجب أن ترقى موضوعاتهم التي تدار للنقاش أثناء لقاءاتهم، وزمن الكبار أثمن من أن يضيع في التوافه، والقيل والقال، وحكايات الشارع والعوام. وكم من وقت مصروف في غير طريق، وكم من قضية أخذت أوقات الكبار وحرفتهم عن مشاريعهم، وقضايا أمتهم، وفي النهاية دفعت بهم إلى الهامش وهم لا يشعرون، على الرغم من عظمة هذا الموضوع الذي أدير في هذه المساحة للنقاش ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ لولا أنه أدير للنقاش تكذيباً واستبعاداً.

• ما أكثر أثر الشائعات في حياة كثيرين! وما أكثر من تعلَّق بها، وبنى عليها توجهاً وتصوراً، وخرجت في النهاية في صورة عمل، وهي في النهاية لا تعدو أن تكون شائعات لا حقيقة لها في الواقع. إنَّ هؤلاء الذين صُرفوا عن الحق لم تكن مصادرهم عن النبي ﷺ، والحق الذي

جاء به مصادر موثوقة، وإنما كانت شائعات لا صلة لها بالحقيقة، وبنوا عليها معتقدات دفعت بهم في النهاية إلى هذا التساؤل تكذيباً واستبعاداً ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

• أثر التجرُّد والصدق والإخلاص في الوصول إلى الحق، وكم من فكرة صحيحة أعمى عنها سوء القصد! إنَّ هؤلاء الذين ظلوا يتساءلون ويختلفون لم يكن لديهم من التجرد للحق شيء، وإنما كانوا يبحثون عن كل وسيلة تقف عثرة أمام هذا الطريق فحسب ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

• لا بد أن يلقى الحق رواجاً في قلوب الناس مهما كان الواقع الذي يعيشونه، إنَّ هذا الخلاف المبثوث بين هؤلاء أحد الطرق التي سيسلك منها الحق إلى قلوب كثيرين، ويؤتي منها آثاره في حياتهم يوماً ما ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ وفي مرات لا يأخذ الحق موقعه في مساحة معينة إلا من خلال الخلاف فيه والنزاع حوله، كما تراه اليوم في واقع الغرب حين تثار على الإسلام الشبه، أو تأتي بعض الحوادث يبدأ الناس في البحث عن حقائق هذا الدين، وتأتي أفواج جديدة للإسلام من جديد.

• تأخذ القضايا حقها من الاهتمام، والحرص، والسؤال على قدر أهميتها في واقع ما، وهذا الوعيد ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ جاء على أكثر القضايا أهمية في واقع الإنسان، قضية الإيمان بالله تعالى. وكم من قضايا توسعت وأديرت فيها نقاشات في مثل زمانك ليس فيها سوى الضياع (وسائل التواصل أنموذجاً).

• ستتلاشى كل الأعذار التي حالت دون الإيمان بالله تعالى يوم القيامة، ولن يبقى منها عذر قائم لتخلُّف إنسان، وهذا التهديد ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ يدلُّك على بوار كل الحجج التي يأتي بها أصحابها طلباً للاعتذار.

• إثارة العقل، ودعوته للتفكُّر والتأمل، وحضه على إعمال مدخراته في الوصول للحق منهج قرآني ينبغي العناية به في كل مشروع. وفي سرد الآيات الدالة على قدرة الله تعالى، وعظيم صنعه في الخلق عقب إنكار البعث تأكيد على ضرورة إعمال العقل وإثارة التفكير ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ وما حاجة عقولنا إلى شيء حاجتها لهذه المعاني الكبار!

• كل الجوارح التي يمنُّ الله تعالى بها على إنسان هي أقصر من أن تهدي صاحبها للحق ما لم يصحبها توفيق! كم من الجوارح التي كان يملكها كل فرد من هؤلاء، ومع ذلك قصرت أن تهديهم إلى الطريق.

• إن نظرة تأمل واحدة في مشاهد الأرض، والجبال، والسماء كافية لكي تأخذ بعقل الإنسان ومشاعره إلى أقصى مدى، ولا يملك معها إلا أن يخرَّ ساجداً لله تعالى تعظيماً وإجلالاً ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا

ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

• يحتفي الوحي بالعقل ويدعوه للتفكير والتأمل، فإذا ما أسقط حقه في ذلك، وغلبته العادات وأسرته العوائد، وتخلَّى عن مكانه كان سبيلاً للضلال والضياع.

إنَّ الله تعالى هنا لم يأبه بخلاف هؤلاء حول قضية اليوم الآخر، وتوعَّد المخالف بمشاهد الحساب، وقيمة العقل تأتي من قبوله للحق وصدوره عنه لا من إثارة الجدل حول حقائقه ومفاهيمه ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

• قضايا الوحي أكثر القضايا أهمية في الحياة، ومهما بلغ علم الإنسان في الواقع، فلا قيمة له ما لم يرتبط بهذا المعنى، وأي علم لا يُعلِّق صاحبه بحقائق الآخرة، فلا قيمة له في شيء ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ

﴿كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ ومن شؤم العلم على صاحبه أن يحول بينه وبين حقائق الآخرة.

• مشروع الدعوة كبير، ويجب أن يأخذ حقه من الإعداد والتأهيل، وفي الاستفهام بقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ ما يستثير عقول القرَّاء ويحفِّزهم على التفكير، والسؤال، والنقاش، وأخذ العلم بشوق. وكم من معلومة ممتعة جاءت في قالب ضعيف، فذهبت لا قيمة لها في ذهن سامع!

• لا تكتمل حياة مخلوق إلا بزوج! وقلَّ أن ترى فرداً إلا ويؤوب إلى ذلك الرفيق، وفي الإنسان بالذات من صور هذا المعنى ما يفوق الوصف، وثمة غايات تتصل بهذا المعنى من بقاء الإنسان في الأرض، وتجديد الرسالة، وتحقيق مصالح الدارين ما فيه ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾.

• ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ تراها في واقع أسرة مليء بالأفراح، وتشهدها في واقع آخر مفصولة عن معانيها الكبار. ومن فقه الحياة أجرى هذه السنن على مراد الله تعالى. كم من بيت تقوم حياته على إجلال أمر الله تعالى وتعظيم شريعته والقيام بحقوقه، وتدفع كل وسيلة تخالف منهجه في الحياة! وكم من بيت أشبه ما يكون بركام من ظلام لا يعرف من هذه المعاني شيئاً!

• حاجة الإنسان إلى النوم دليل على ضعفه، ودليل في المقابل على منَّة الله تعالى بـه، فوصف النوم بالسـبات؛ لأنه قاطـع لرتابة الحياة، ومضفٍ عليها نشـاطاً وجدَّة، وإذا ما لقي منه الإنسـان قدر حاجته قام يتنفَّس الحياة من جديد ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾.

• من أعظم الأدلة على ضعفك حاجتك للنوم ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ كم من مريض يبيت يرقب سـاعات الليل وهو محـروم من هذه النعمة! وكم من صحيح معافى بـات يتقلَّب في أعطافها ممنونـاً بنعم الله تعالى عليه، وهو لا يدري! ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾.

• الليل لباس، فكما أنَّ اللباس يستر عورة الإنسان عن الانكشاف، فكذلـك الليل يخفـي ما لا يحب الإنسـان إطلاع غيره عليـه، ومثل ما يزداد الإنسـان باللباس قوَّة وجمالاً يزداد بالليل كذلك قوَّة وجمالاً، أشار إلى ذلك الرازي رحمه الله ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ كم فيه من شاكر لآلاء الله تعالى! وكم فيه من ناكر للجميل! ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾.

• ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ نافـذة علـى إبداع الله تعالى في هذا الكون، وجعله بديعاً متناسـقاً رائعاً، يأخذ الإنسان حظَّه في النهار من النشـاط والحركة والجهـد والتعب، فيأتي الليل يسـلُّ سخائم هذا التعب، ويعيده جديداً في الحياة.

• مـن كمال عقلـك وفقهك وتوفيقـك أن تأخذ من هـذه الآيات ما يعينك على الشكر والعرفان لله تعالى، وألا تذهب في شيء يعارض

منهج الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ وإذا قلَّبت مشاعرك في قول ربك: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أدركت هذا المعنى بجلاء.

• لا تنتظر حلولاً جذرية لخلافك مع الباطل، ثمَّة يوم تنجلي فيه الحقائق، ويظهر كل شيء ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧﴾ سمَّاه الله تعالى يوم الفصل؛ لأنه يفصل بين الحق والباطل، وبين أهل الحق وأهل الباطل، وبين الحقيقة الكبرى التي عاش من أجلها الإنسان والأوهام العارضة في منتصف الطريق، وإذا طال أمد دعاوى الباطل والدجل والكذب في واقع اليوم، فسيأتي يوم القيامة بالفصل المبين.

• ضياع الأهداف والغايات الكبرى من أكثر الأزمات التي تواجه إنسان اليوم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ هذه مشكلتهم التي أودت بهم في النهاية إلى الضياع. وكل من تراه يتخبط في عرض الطريق، فهو أثر لغياب هذا المعنى من واقع حياته.

• ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ ليست هذه مشكلتهم وحدهم بل مشكلة كثيرين في عالم اليوم. يمضي يومه، وأسبوعه، وشهره، وينتهي عامه وهمُّه هذه الدنيا التي بين عينيه فحسب.

• كل صور العبث والفوضى التي تراها في واقعك من كثيرين هي نتيجة لهذه الحقيقة المرة في واقعهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾.

• لا تستغرب إذا رأيته يعمل في بنك ربوي، أو يبني بيته، ويشتري سيارته من أموال الربا، أو لا يحفل بحق والديه، ولا يبالي بحضور أي مشهد من مشاهد المنكر، أو يتخلَّف عن أكثر القضايا ضرورة في حياته كالصلاة مثلاً، كل ذلك بعض نتائج لهذا المعنى الكبير ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ ولك أن تقول كل مشهد يخالف الوحي، فهو نتيجة لغياب هذا المعنى الكبير!

• ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾ كل شيء، فلا يأتي على بالك أنَّ ثمة شيئاً ليس مكتوباً أو مُحصى!

• حتى النظرة الخائنة، وكلمة النفاق، والخطوة التي سَرَتْ في الظلام، والتوقيع الذي مرَّر قراراً فاسداً ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾.

• حتى تعبك لرضا أمك، ومالك الذي تعين به والدك، وجهدك الذي تبذله في مشروع، وقصة الدموع التي تهراق منك على فجائع إخوانك المسلمين ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾.

• وما ينفع ظلام الليل أمام هذه الرقابة اللصيقة والحصار الكبير ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾ حتى لو كان الظلام دامساً، ولا سبيل إلى الوصول إليك من العالمين ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾.

• حتى لو سافرت ولم تبلغ أحداً، وخرجت من كل دوائر الرقابة التي تخشاها، ستجري عليك أحداث هذا المعنى الكبير ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾ وسيأتي في كتابك مشهد المنكر بتاريخه، ومكانه، وملابساته، ولن يغيب من ذلك شيء.

• يا صاحبي! في كتابك (كل شيء)، وليس فيه شيء دون شيء ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾.

• حتى نيَّتك التي تجري في قلبك، أو الرياء الذي خالط مشاعرك، سيأتي في صفحات ذلك الكتاب ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾.

• ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ مشهد من مشاهد الحسرات، كان يكفي أن يُدفع بهم إلى النار، فإذا ما قيل لهم وهم في دركاتها ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ ذوقوا أثر تلك الفوضى التي ملأتم بها أزمانكم وعشتم فيها بلا منهج. ذوقوا عواقب التفريط، وويلات الندم، وخسارة العمر الضائع بلا منهج. ذوقوا أثر تلك الحياة العابثة التي عشتموها كيفما أردتم، فهذه هي النهايات.

• كثيرة هي المواعظ التي طرقت أذنه، والأحداث التي جرت أمام عينه، وكان هائماً في مشاهد الضلال ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ ليست المسألة ما هو فيه من العذاب، وإنما موعود بمزيد من نهايات السوء. يا الله ما أقسى التفريط في حياة إنسان!

• نافذة على مشاهد النعيم ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ وإطلالة على مباهج الحياة غداً بين يدي الله تعالى في ساحات الجنان.

• ستظل المرأة تبعث البهجة حتى في غرف الجنان ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ وهي كذلك اليوم وغداً، وما هي بحاجة إلى شيء حاجتها إلى

معرفة أثرها في صناعة واقعها، وليس الفوضى التي تجري في مرات كثيرة في ساحات الضياع.

• الحدائق التي تأسرك، والبساتين التي كانت تغرق مشاعرك كلها لا شيء أمام مشهد الجنان ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢﴾ متِّع بصرك، فهذا أوان الحياة.

• مهما بلغ جمال تلك المرأة التي تراها في الشاشة أو في أرض الغربة، أو في ساحات النزهة، حدِّث نفسك عن هذا النعيم، وألق بقلبك في مشاهده، وتهيأ لبلوغ منازله ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ الكواعب من قوتها وشبابها ما زال ثديها في تمام قوته وجماله، والأتراب في سن واحدة، ولا زمن يغير على هذه المشاهد الممتعة هناك.

• المرأة التقية من صُنَّاع البهجة في الدارين، في الدنيا ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ وفي الآخرة ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾.

• من مباهج الجنة أنك لا تسمع فيها أحاديث المبطلين، ومناوشات السفهاء وأصوات الرعاع ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾ فدلَّ على أنه من البلاء الذي يصم أذنيك.

• الاستعلاء عن أحاديث الفارغين في دنياك نوع من النعيم العاجل لصاحبه ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾.

• من مكدرات مشاعرك أن تبقى في مكان مع رعاع الفوضى ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾.

• حتى كأس الشراب التي يلتذُّ بها أهل الجنة مملوءة، صافية، ممتعة، وهي غاية في الدهشة والجمال والإمتاع ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾.

• فرق كبير في جزاء النهايات، حين عرض الله تعالى جزاء الكافرين قال: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ وحين عرض جزاء المتقين قال: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ هناك في جزاء الكافرين محض العدل، وهنا في جزاء المتقين زيادة فضل، وفرق كبير بين الجزاء والعطاء، ولا يصنع ذلك إلا الكبير المتعال.

• لا تستكثر هذا النعيم على ربك، فهو يملك كل شيء ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾.

• من عرف ربه قام له بواجبه ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ لمَّا عرفوا ربهم تعالى حق المعرفة وقفوا خاشعين معظمين! ولو فقه الواحد منا موقفه بين يدي الله تعالى في الصلاة لصنع لها مواقف إجلال!

• كل علم لا يصل بك إلى هذه الحقائق، فليس بعلم ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ فانظر ماذا تقرأ! وما الذي يصل بك إلى ربوع أمانيك!

• ما حاجة حلق تحفيظ كتاب الله تعالى إلى شيء حاجتها لمشاهد هذا المعنى العظيم ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾.

• إذا قرأت هذا النص فتأمل مشهد الملائكة بما فيهم جبريل يقفون واجمين عن الحديث مندهشين بلحظات ذلك اليوم العصيب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾.

• وانتهت كل أقاويل الدجل لا إلى شيء ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾.

• هذا ميعاد انكشاف حوادث النفاق والغش والكذب والباطل ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ وكل شيء.

• انتهت قصة تزوير الحقائق كلها، وجاءت تتهادى بين أعين أصحابها لا يحجبها عنهم شيء ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾.

• طول الأمد من أكثر مشكلاتنا وأزماتنا في الحياة ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ ما أكثر ما طرقت آذاننا هذه الذكرى! وما أقل العبر بها!

• حق على الله تعالى ما ارتفع شيء إلا وضعه ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ كان يدير الحياة ويصنع مكتشفات الحضارة، ويكرَّم في مدارج العز، وإذا به يتمنى اليوم أن لو كان من ذرات تراب الأرض!

• ما تصنع الحضارة وصواريخ الفضاء وتقنيات الدنيا كلها أمام هذا الموقف في ساحات الجزاء ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ ليتهم أدركوا أنفسهم قبل الفوات.

• ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ هذا لمجرد كفـره، فكيف به وقد قتَّل المسـلمين، وشرَّد الأطفال، ويتَّم النساء، وتعدَّى بقوته على الآخرين كيفما شاء!

• إلى كلِّ المظلومين، والمشردين، والمقتولين في ساحات أوطانهم: للظالم زمـن يتمنَّى فيه لو كان ترابـاً ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ
﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ
خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا
مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ
الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن

﴿يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

• ينتظم في هذا الكون كلُّ شيء، ولا تكاد تجد خللاً عارضاً ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ حتى الملائكة تؤدي فيه أدوارها، وتقوم بمهماتها وفق مراد الله تعالى وحكمته.

• الجزاء من جنس العمل ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ ملائكة الرحمة تقبض أرواح المؤمنين برفق، وملائكة العذاب تنزع أرواح الكافرين بشدة، ومن كمال عقلك ووعيك أن تأخذ لهذه اللحظة حقها من الاستعداد حتى تأتي في فلك المنعَّمين.

• هذا أول مشاهد النعيم والعذاب ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ وعلى ضوء هذه البدايات تكون النهايات.

• هذا زمان الفجائع، فما أنت صانع لنفسك فيه! ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ كم من ذكرى اليوم هي أحوج ما تكون إلى حياة قلب صاحبها قبل الفوات!

• حاجة الدعاة والمصلحين وأصحاب المشاريع إلى التسلية.

إنَّ الطريق ممتلئة بالعوارض والعقبات، وصاحب المشروع عرضة للتعب، واليأس والملل من طول الطريق، وحاجته للتسلية فوق كل حاجة، وعرض قصة موسى في هذا الموضع تسلية لقلب رسولنا ﷺ وإغاثة لمشاعر الدعاة والمصلحين من بعده إلى يوم القيامة ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾.

• الأصل امتداد الصراع بين الحق والباطل ما بقيت الدنيا ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ فروِّض نفسك على هذه العقبات، واملأ قلبك يقيناً وتوجَّه إلى ربك وسله أن يغيثك من الأمل ما تبلغ به آمالك وأمانيك.

• إدبار الكبراء عن الرسالة سنة إلٰهية، وقلَّ أن تجد كبيراً مصغياً للرسالة، مانحاً لها قلبه، وفكره، ومشاعره، وفي حديث هرقل: (وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ) ومازالت الصور ذاتها تتكرر في كل زمان ومكان ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾.

• لم تكن رسالة نبينا ﷺ بدعاً في الطريق، وإنما هي حلقة من تلك السلسلة المباركة من زمن نوح عليه السلام إلى يومنا هذا ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ وهذا الحلقة المترابطة تدلُّك على عموم رسالة هذا الدين للعالمين.

• رحمة الله تعالى بعباده وحلمه عليهم ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ حتى هذا الطاغية الظالم المعتدي على حقوقه تعالى يبعث الله تعالى إليه رسوله، ويأمره بأن يتلطَّف معه، ويأتي إليه من أوسع الأبواب.

• لن يهلك على الله تعالى إلا هالك ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ إذا كان الله تعالى يعامل هؤلاء الطغاة بهذا المعنى الكبير، فما بالك بغيرهم من المؤمنين!

• ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ هذا الخطاب لرسول الله ﷺ، وأنتم أيها الدعاة والمصلحون! اذهبوا إلى كل محتاج لهذه الدعوة، واسعوا في استنقاذه من الضلال ما أمكنكم إليه سبيل.

• لئن تظفر بأخيك ضمن صفوف الناجين أعظم ألف مرة من أن تظفر به في صفوف الهالكين ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾.

• لا تدعوهم لتقيموا الحجة عليهم، بل ادعوهم ليشربوا كأسها صافياً في الدارين ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

• إذا رأيت إنساناً قاسياً على ولده أو زوجه وأسرته، أو داعية غليظاً على من حوله أو مربياً متجهِّماً في وجه طلابه، فاقرأ عليهم تفاصيل هذه القصة ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

• وسِّع في أثرك، ومدَّ في دلالتك، واجتهد في بلاغ رسالتك، وألح على الله تعالى في الدعاء، واترك الأمر في النهاية لربك، فبيده كل شيء ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

• الأشقياء لا تنفع فيهم المواعظ شيئاً ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ جاءته في غاية الأدب ولكنه أبى إلا الشقاء.

• مشكلة الطغيان أنه لا يؤمن إلا بنفسه ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾، ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ حين جاءته الهداية في أجمل ثوب وأروعه.

• هكذا يصنع طوفان المسؤوليات في حياة كثيرين ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ تراه من ضعفاء الله تعالى في الأرض ثم إذا تولَّى شيئاً كان أطغى العالمين.

• مشكلة المسؤوليات أنها تخلق وبقوة (خلق العُجْب، والكبر) وما تزال تنفخ فيها حتى تأتي على خيرات صاحبها ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾.

• من كمال عقلك أن تتعرَّف على أدواء نفسك قبل اتساع دائرة المرض ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾.

• إذا أراد الله تعالى أمر سوء حجب عن صاحبه موارد التوفيق ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ مع كل الآيات التي رآها أبى إلا الضلال!

• جزء من مشكلات الأمة هذه الجماهير التي لا يسعها سوى الفرجة والتصفيق ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ لوى عنقه عن الهداية، وذهب للجماهير يستعطفهم ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾.

• لا أعاد الله زماناً يأتي لواقع بهذه الرزايا الكبار ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ مثل هؤلاء لا يُبقون شيئاً صالحاً للحياة.

• لا يغرك إمهال الله تعالى الضالين، فثمة موعد للقصاص ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ وكم من سادر في الطريق ذاتها.

• ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ درس للطغاة في كل زمان ومكان!

• لا تسل لِمَ لا يعتبرون! لأن غيَّ الضلالة أورث الخذلان ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾.

• أكثر المعتبرين من الحوادث من يحسبون عوائد الأيام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾.

• في التاريخ عبر تحتاج إلى إعادة قراءة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ وعلى كل إنسان أن يقرأ التاريخ، ويضع نصب عينه الدروس التي يخرج بها من خلال تلك القراءة. إنَّ مشكلتنا في التعامل مع التاريخ أننا نكتبه ونركِّز على الزمان، والمكان، والأحداث دون أن نُعمل أفكارنا في الدروس التي نفهمها من خلال ذلك التحليل، فنقرأ وننشغل بضبط التاريخ وسرد الأحداث دون أن ننزل هذه الأحداث التي نقرؤها على أحوالنا الشخصية وواقع أمتنا، وحين نكتب أو نقرأ بمثل هذه الصور يتحوَّل التاريخ إلى قصة تسلية لا علاقة لها بالأحداث الجارية في واقع إنسان أو محيطه الذي يعيش فيه، وتوسَّع هذا الخلل حتى أصبحت تراه في السير الذاتية للأفراد، فتجد الكاتب يوغل في تاريخ ولادته، ومكانها، وزمانها وأسرته على حساب وسائل النجاح، وعقبات الطريق.

• قضايا كثيرة في حياتنا تأخذ جزءاً من أخلاق فرعون أمام الحق، فتجحد الحق وتنكره تارة، وتتصلَّب على فكرة خاطئة ثانية، وترى أن الحق معها، وتبذل كل الوسائل لإقناعها وتأبى ثالثة، وتغضب لحق نفسها رابعة، وقد تزيد حتى تتملَّك من صاحبها وتسيِّره وفق الهوى،

وقد تأخذ منه حظاً وافراً دون أن يشعر أنَّ له علاقة بفرعون أو حتى قريباً منه. وعلينا أن نقرأ نفوسنا قراءة جيدة، ونتعرَّف على مواطن الخلل فيها، ونجهد في إصلاح عيوبها حتى نأتي على ما نريد. والله المستعان!

• الجماهير ليســت دليلاً على حق! والحق لا يعرف بكثرة أو قلة، وإنما يعرف بالدليل والبرهان! هذا فرعون يدَّعي الربوبية، ويحشد تلك الجماهير لإقرارها في صور من الرعــاع والفوضى التي يكتبها التاريخ في تلك الحقبة من الزمن ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾.

• (اســتئجار العقول) فكرة قديمة، وهذه الجماهير العريضة أجَّرت عقولها لبشــر مثلها، ويذهب يعبث بها في الباطــل كيفما أراد، وتتعدد الصور في كل زمان، وتجري في مرات كثيــرة في الفلك ذاته ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ تــرى هــذا في صورة موظــف في دائرةٍ ما يتعامل مع رئيسه كذلك، وثاني وثالث وعاشر ودوائر تتوسع في كل دائرة بحســبها، وما أكثر المتملِّقين لمصالحهم الشــخصية، ولكن في صورة احتفاء بالكبار من حولهم.

• (السادة، والعبيد) منهج فرعوني قديم، فلا يملك العبد أمام سيده ســوى الطواعية والإذعان، مهما كان أمره ورأيه، وكــم من فرعون في زماننا يحاول جاهداً مدَّ هذا المعنى في مسؤوليته وواقعه. وكم من عبيد على ذات الطريق.

• كثيرة هي المعالم التي تدلُّك على الله تعالــى، لو ترك الإنســان لبصره وعقلــه الإمعان في مشاهد السماء، والأرض، والليــل، والنهــار،

والجبال لكانت العبرة في حياته أوفى ما تكون ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

• وما تنفع الذكرى في حق المفرطين بعد فوات الأوان ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ يتذكَّر أيام فوات الفرص، وضياع الواجبات، والتفريط في الحقوق وأحداث الإعراض عن المنهج.

• كم من ذكرى مبهجة في حق صاحبها ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ تذكّر حرصه على صلاة الجماعة، وتعظيمه لشعائر الله تعالى، وقيامه بواجب ربه، وقصة مشروعه في الحياة.

• ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ يتذكَّر حرصه على تكبيرة الإحرام، وإدراك الصفّ الأول، وصيام أيام الفضائل، وتكرار العمرة، وورد القرآن، وصدقات الخفاء وخلوات السرائر.

• ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ يتذكَّر تخلفه عن الطاعة، والاعتداء على الحرمات، وتجاوزه على حدود الله تعالى.

• الطغيان وإيثار الحياة الدنيا أكثر ما يقف في عرض الطريق الموصل للآخرة ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾.

• يستعجلون فيفوتهم كل شيء ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ كم ممَّن استعجل مالاً، أو رئاسة، أو وظيفة على حساب دينه ومنهجه ورسالته في الحياة!

• من لوازم الرؤية الجادة أنها تستطيع تأجيل كثير من رغباتها العاجلة، وتنتظر وعد الله تعالى ولو بعد حين بخلاف ضبابية الرؤية أو ضياعها، فإنها تستعجل ما حقه التأخير ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨﴾.

• استلذ مركوباً، واستعجل بيتاً، ورغب في ملذات عاجلة، فتورَّط في ربا الجاهلية على حساب مقاصد الدار الآخرة ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨﴾.

• كل المتورطين في الفساد اليوم مستعجلين للدنيا على حساب الآخرة ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨﴾.

• وقَّع معاملة، واستلم رشوة، وسرَّب معلومة مؤثِّرة في القرار، وغيَّر في أوراق الانتخاب، كل ذلك من أجل العاجلة ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨﴾.

• خوف الله تعالى سياج ضخم أمام جموح النفوس إلى الشهوات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ كم من كبير متفوِّق على الشهوات رغم زينتها الفاتنة! كم من شهوة عارضة، وزينة بهيجة وقف دونها خوف الله تعالى!

• في ديار الغربة، والغرف المظلمة، وساحات السفر ستتعرَّف على هذه الحقيقة الضخمة في قلبك ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾.

• (الهوى) أحد الأمراض التي تلاحق الإنسان، وتقف أمام أهدافه الكبرى في الحياة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾.

• كل الذين سقطوا في النهاية هم الذين انهزموا أمام الهوى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

• ينشغل كثير من الناس بأسئلة لا أثر لها في العمل! ويذهب وقت عريض في أسئلة لا يتوقف عليها شيء، وإن كان سؤال هؤلاء تكذيب وسخرية إلا أنه شبيه بواقع اليوم في بعض صوره وأشكاله. ينبغي للعاقل أن ينأى بنفسه عن كل سؤال لا أثر له في الغاية الكبرى التي خلق من أجلها، وكلما شُغل الواحد بالأسئلة التي تمس واقعه، ومشروعه، وغاياته الكبرى كان أثمر لاستثمار وقته وتحقيق غاياته ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ متى وقوعها؟ فأجابهم ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟

• من المؤسف أنَّ كثيراً من أسئلة الواقع اليوم لا يتوقف عليها عمل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ حتى المسابقات التي تقوم في كثير من الجهات والمحاضن هي من هذا القبيل ركام لا علاقة له بمتين العلم. ومازال هذا الباب يحتاج إلى موفق يأتي على كتاب الله تعالى، وسنَّة نبيه ﷺ، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ويصنع منها ما يصوغ عقول الأجيال، ويعيد بناءهم من جديد.

• كان من فقه الصحابة (ففيم العمل يا رسول الله؟) إدراكاً لهذا المعنى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾.

• على كل مسؤول أن يتعامل بعقل المربِّي مع سائليه، فحين يرى أسئلة لا واقع لها ولا ثمرة فيها عليه أن يرشدهم إلى ما هو أهم من سؤالهم، وأكثر أثراً على حياتهم المستقبلية، وفي الجواب هنا بقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ دليل هذا المعنى، ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ للسائل عن الساعة: «**ماذا أعددت لها؟**» أعاده للقضية التي يترتَّب عليها عمل، وصرفه عن سؤال لا قيمة له في واقعه.

• لا تستبعد طول الأيام التي تنتظرها، حين تأتي كأن دنياك لا شيء ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ كم من حرف كان بحاجة إلى إعادة ألف مرة!

• ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ كم من قارئ لهذا الحرف معنيٌّ به وهو لا يدري! وكم من طول أمل قضت عليه النهايات! لو كان القلب حيَّاً لاستفاق من طول الأمد، وعاد يسابق أيامه مع الزمن. ذهب ذلك الفراغ الطويل، وذهبت تلك الراحة الموهومة، ونُسيت كل لذة عاشها الإنسان، وطوت الدنيا رحلتها لتقف بصاحبها على أحداث النهايات رأي عين، وانتهت تلك الصور الكثيرة لتقف في النهاية على الحقيقة الكبرى. كم هو الفرق بين مئة عام، وبين لحظة من عشي أو ضحى! وما تصنع تلك الأعوام الممتدة في حياة إنسان حين تتحوَّل بكل أمانيها إلى لحظة مبتورة من عرض يوم!

❁ ❁ ❁

سُورَةُ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا
تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي
سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِن
نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ
أَنشَرَهُ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ
۝٣٢ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ
۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢ ﴾.

• (القيم) هي الصورة الحيَّة لأي مجتمع يعيش في الأرض، ولن يستقيم كيان مجتمع أو أمة إلا من خلال اتساق قيم الإسلام الكبرى في واقع حياتهم. هذا رسول الله ﷺ وقد أخذت منه الرسالة والدعوة كل مبلغ حين تصرَّف لهذا المشروع الكبير رغبة في تعجيل بنائه بالكبراء جاء العتاب كبيراً من الله تعالى.

إنَّ الإسلام لا يمكن أن يقيم مشروعه على أنقاض القيم مهما كانت المصالح المتوخاة من ذلك. لقد أراد رسول الله ﷺ أن يسرِّع بالإسلام من خلال الإقبال على الكبراء، ومنحهم فرصة الدعوة، فجاء العتاب من الله تعالى أنَّ ذلك لا يتوافق مع هذه الرسالة، وأنَّ الفقير الأعمى المقبل أحق بهذا الاستقبال من الكبير المتكبر المدبر.

• إنَّ نجاح الأفراد والأمم لا يأتي إلا من خلال منظومة القيم الكبرى التي حددها الإسلام، وأي محاولة في أي مشروع يكون مخالفاً لهذه القيم سيكون مآله الإخفاق والنكوص. إن الفقير المسكين المعوَّق المقبل قد يكون أنفع لمشروع الدعوة من الكبير المعرض، ولا حرج على الدعوة أن تستقطب المتميزين اللامعين لصفوفها من خلال برامجها وخططها لكن ليس من حقها أن تمنحهم فرصة على حساب المقبلين، والدعوة تتسع لكل فرد في الدنيا، وإنَّما التخطيط والتنظيم شيء، وتكافؤ الفرص، والتعامل بقيم الإسلام شيء آخر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• الوحي مصدر لبناء القيم، وليس في الأرض نظام يمكن أن يشرِّع قيماً للأخلاق أو يضع منهجـاً للتعامل في واقع الحياة، وإنما ذلك حق للوحي فحسب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• حين تستفتح السورة تقرأ عتاباً حانياً، خطاباً موجَّهاً بصيغة الغائب مع أن الوحي يخاطب رسـوله محمداً ﷺ أول ما ينـزل. وفي هذا من الود، والحب، والإجلال لرسـول الله ﷺ ما فيه! هكذا يصنع الله تعالى لرسله، والمعنى ذاته لأوليائه، ولهم منه على قدر قيامهم بواجبه! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• كلما قـرأت عتاب الله تعالى لرسـوله ﷺ من أجـل هذا الأعمى أدركت ما تصنع الولاية فـي حق أصحابها، هـذا رب العالمين يتولى الدفاع عن وليه ابن أم مكتوم، وما أقبل إنسـان على الله تعالى إلا بات كبيراً في كل شيء! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• ثوبك، ومركوبك، وسـكنك، وكل ما تملك لا تصنع مباهجك، حسـن الصلة بالله تعالى يصنع كل شـيء، ويوجب حتى الدفاع عنك ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• لا تحسب أن شيئاً ضائعاً عند الله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ حتى العبوس العارض في

لحظة، وفي مساحة ضيقة من الأرض استقبل هتاف السماء وعتاب الله تعالى.

• لا أعرف ديناً أو منهجاً أو سياسة تكفل حقوق الإنسان كما يكفلها الإسلام ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ يعاتب حتى على العبوس!

• كم من معوَّق لا تقيم له شأناً، وهو عند الله تعالى عظيم! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• الإعاقة ليست تلك التي تجري في جسدك، وإنما تلك التي تجري في روحك وقيمك ومبادئك ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ هذا الأعمى استنزل عتاب الله تعالى من السماء، وكم من صحيح في جسده سقيم في مفاهيمه وأفكاره وقيمه ومبادئه.

• رعى الإسلام حق أعمى وهو لم يَرَ ما صُنع به، ودافع عنه وعاتب من أجله، فكيف بضعيف تُهان كرامته وهو يرى، ولا يستطيع أن يدفع ذلك عنه، يا ويلهم يوم الجزاء ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• ركب مع سائق التاكسي، واستغرق في الطريق إلى بيته ساعات، ثم نزل وتركه دون أن يمنحه حق ذلك العرق النازف من جبينه، وهو في أرض غربة، ونسي أن الله تعالى عاتب وحاسب على عُبوسٍ عارض

في وجه أعمى، فكيف لا يحفظ حقوق المساكين؟! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• إذا كان الله تعالى حفظ عبوساً عارضاً وعاتب من أجله، فكيف لا يحفظ موقفاً مبهجاً ويسعد عليه؟! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• حتى الابتسامة في وجوه المجهدين تستحق في المقابل جزاءً عاجلاً ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• إذا رأيت كبيراً في عرض الطريق فاحمله، وعجوزاً تستعين بك في شيء فأعنها، ويتيماً يحتاج إلى مساعدة في شيء فكن له، تلك مواقف تستجلب الخيرات ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾.

• أعمال القلوب تستحق مباهج النصر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ لولا نية هذا الصالح لما كان عتاب الله تعالى حاراً في لحظته.

• ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩﴾ لا تُشترى بمال، لا تُستجلب إلا بالإيمان والعمل الصالح.

• ليس من شأن الدعوة أن تتصدى للمتكبرين وتلاحقهم وتصرف لهم جهودها وأفكارها ومبادراتها ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ مجرد الالتفات لمثل هؤلاء مواقف تستحق العتبى.

• مواعظ الوحي مجرد ذكرى لا تلزمك باعتناقها، ولا تكلفك تبعاتها، وأنت أمامها بالخيار، والجزاء من جنس العمل ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾.

• النقد وسيلة من وسائل النجاح، وأداة من أدوات تصحيح المسار، وعلى كل صاحب مشروع أن يستقبله مستمتعاً مسروراً به لما له من عوائد على أصحابه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• إسرار النقد أو إعلانه مسألة راجعة للمصلحة، والأثر من الإسرار والإعلان على مستوى الفرد، أو المشروع، أو الجماعة، وعلى الناقد أن يقدِّر المصلحة قدر وسعه، ومصلحة إعلان النقد هنا ظاهرة جداً، وتحقَّق بها شيء كبير في واقع مشروع الدعوة سواء في حياة النبي ﷺ أو أتباعه فيما بعد ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• النقد ليس لطائفة مخصوصة، وإنما هو عام لكل إنسان، أو مشروع، أو جماعة، لا فرق، وقد وجِّه للنبي ﷺ وهو أشرف الخلق، وأقرب الناس إلى الإصابة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• من كمال عقل الإنسان وتوفيقه قبول النقد، والاستفادة منه قدر الوسع، وعدم التبرم أو الاستياء، فإن ذلك أعون له على النجاح والتفوق، وأسلم له من كثير من الأخطاء في مستقبل أيامه، ولا ينبغي أن يعيق النقد مسيرة صاحبه أو يعثر مشروعه! وعليه أن يواصل طريقه، ويصحح الأخطاء العارضة، ويمضي في إكمال مشوار مشروعه كما رُسم له ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• يجب أن يكون خطاب النقد صحيحاً في مقصده، وأن يكون دافع قائله محض النصيحة والحب، وأن يحرص صاحبه غاية الحرص في اختيار الطريق الأنسب والفاعل في تحقيقه، وألا يكون الغرض منه غرضاً من أغراض الدنيا الفانية ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ تراه هنا جاء بصيغة الغائب، وكان لطيفاً في حرفه ومعناه.

• النقد فرع من العمل والمشروع، والحدث القائم في الأرض، ولن تتوجه كلمة واحدة لقاعد لا أثر له في الواقع، وهو شهادة على جهد صاحبه ومشروعه وأثره ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ ولولا تلك

القصة، وذلك اللقاء، وتلك الحركة لما سمعنا حرفاً واحداً في مثل هذا الشأن.

• وجود الأخطاء في مشروع الإنسان، وتوجيه النقد إليه حالة طبيعية، وليست فُرجة يترك من خلالها مشروعه كما يتوهم كثيرون، وإنما إثراء للتجربة وتمكين لها من الواقع ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• كل صاحب مشروع عرضة للخطأ، وعليه أن يستقبل كل حرف ناقدٍ يأتيه بالترحاب، وأن يستفيد منه قدر حاجته إليه، وبقدر صدقه، وواقعيته ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• فرق كبير بين أن يوجه لك نقد في السر وترفضه أو لا ترضاه نفسك، وبين أن يوجه لك علانية فتقبله أو لا تقبله، وبين أن تقف تعلنه أمام الملأ وتصرِّح بوقوعه، وتعتذر من تبعاته، هذه هي النفوس الكبيرة التي تعمل لله تعالى، وتجهد في مرضاته. وما أحوج صاحب مشروع إلى هذا المعنى الكبير في حياته! حين نعمل لله تعالى، ونخلص له، ونصدق في الإقبال عليه نقبل أي نقد، ونشرف به، ونسعى للإفادة منه قدر الوسع، سراً كان أو علانية، عرفه الناس أم لم يعرفوه، بل ربما يتخطى ذلك إلى أننا نذكِّر به من لم يعرفه حتى يستفيد منه في قادم الأيام. وحين نعمل لذواتنا نتألم منه، ونتوجع له، وقد نقطع زمناً من أعمارنا في بيان خطأ المنتقد، أو تشويه صورة صاحبه، أو تعويق مشروعه،

وحظوظ النفس تأتي بأسوأ من كل هذا. والله المستعان! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ لقد كان رسول الله ﷺ في بداية الطريق، وأعداء الدعوة ينشدون أي خطأ، والمتربصون بالإخفاق كثر، ومع ذلك قرأ عليهم ذات الخبر، وفيه ما فيه على نفس بشر، وظل كلما لقي ابن أم مكتوم في عرض الطريق أو في مجلس قال له: «**أهلاً بمن عاتبني فيه ربي**»!

إن المشاريع لا تتقدم في الواقع بردم جزء منها في الظلام، ومحاولة إبرازها في أتم صورها وهي على شيء من الخطأ، وإنما تتقدَّم بكشف ذلك الخطأ، وتسليط الضوء عليه، وجعله في بؤرة التصحيح ومحاولة العلاج. حتى نفوسنا قد نمارس معها الخطأ ذاته، وتظل فيها عادات سلبية، وفجوات مفتوحة، وأفكار وقيم غير صحيحة، ونظل نحاول جاهدين في تغطية تلك المعالم ظانين أنها خطوة في تحقيق النجاح، وهي في الحقيقة زيادة في الظلام والإعتام على طريقنا ومستقبلنا، وحين نكشفها، ونبين مواضعها نضعها تحت دائرة العمل، وتصبح جزءاً من أولوياتنا الحقيقة بالرعاية والاهتمام.

• جزء من ميلادك حين تولد في نفسك قيمة جديدة، أو تصحح قيمة سلبية، وكم كان أثر هذه القيم التي تتوالد في مكة كل يوم من زمن بعثته ﷺ إلى تاريخ وفاته! ومن قرأ تاريخ تلك الأمة التي أرسل فيها رسول الله ﷺ أول ما أرسل، وقرأ تاريخهم بعد زمن من حياته أو

بعد وفاته أدرك ذلك الميلاد الكبير! لا يحسب ميلاد الأفراد، والمجتمعات، والمشاريع من تاريخ نشأتها، وإنما يحسب من لحظة ولادة القيم والمثل والمبادئ الكبرى فيها.

• على الدعاة والمصلحين والمربين ـ أياً كانت مشاريعهم؛ تعليمية أو تربوية أو اجتماعية أو حتى اقتصادية وإعلامية ـ أن يدركوا أن مسألة التربية على القيم هي مسؤوليتهم الأولى والكبرى، وأن مجتمعات اليوم أحوج ما تكون للتربية على هذا المعنى! ولن يقوم بناء وثيق في الأرض لفرد أو مجتمع أو مشروع إلا على جذر القيم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

• ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧﴾ نافذة على كبر الإنسان وجحوده وإعراضه، وإذا لم يقاوم الإنسان هذه الرزايا في واقعه ويعالج هذه الأمراض في نفسه وإلا صار عرضة للخذلان.

• إذا دعتك نفسك للكبرياء، فتذكَّر أصل منشأ تلك النطفة وبدايتها ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾ بدايتك كبداية كل إنسان، ولا فرق بين مخلوق وآخر في أصل النشأة، وهي دعوة للتواضع ونبذ كل صور الكبرياء التي تواجه الإنسان في مرات من عمره وتاريخه.

• من وعي الإنسان وتوفيقه وكمال عقله أن يستعد لتلك اللحظة التي ستواجهه في النهاية ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ۝٢١﴾ وإذا قرأ الإنسان الوحي في

مسألة الموت والقبر أدرك عظم ما ينتظره في تلك الأوقات، والله المستعان!

• توقَّف حمار النبي ﷺ مستوحشاً ذات مساء في مساحة من الأرض فقال ﷺ: «**يهود تعذَّب في قبورها**»، وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن خيل انحبس ما في بطنها فقال: اذهبوا بها للمقبرة، فأخرجت ما في بطنها. وتوقف النبي ﷺ عند قبرين فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير: أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس، والآخر لا يستنزه من بوله**». فما بالك بغيرهم من أصحاب الموبقات!

• ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ دعوة للنظر والتفكر والتأمل في نعم الله تعالى، وكم من نعم تذهب بالغفلة! وكم من نظر وتأمل أورث في قلب صاحبه الشكر والعرفان.

• قبل أن تمدَّ يدك إلى طعامك الذي بين يديك خذ جولة بمشاعرك كيف وصل إليك ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ أتظنونه جهدكم! كلا، إنما هو قدر الله تعالى لكم.

• نافذة على أكثر المساحات إثارة في واقع إنسان ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ ومن قام بأمر الله تعالى وعظَّم شعائره وأتى على واجباته أمن مخاوف تلك الدار.

• الجـزاء من جنس العمـل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ هـذا النعيم، وذلك الجحيم إنما هو صناعة شخصية وليس قدراً متعصياً على التغيير.

• العبـرة بالنهايـات ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ وحظوظك الكبرى ليسـت في هذه الدار، وإنما بما سـيجري من تلك البشائر في يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

• لكل شيء نهاية ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ ومن تأمل مشاهد الخراب التي تجري في الكون لحظة القيامة أدرك أنه لا قيمة للحياة إلا بالإيمان والعمل الصالح.

• مالُك، ووظيفتك، ومسؤوليتك، ومركزك الاجتماعي لم يبق منها شيء ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ سل نفسك ماذا معك من الإيمان والعمل الصالح؟

• ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ نافذة على أن صاحبك في الدنيا هو ذاته صاحبك في الآخرة، وعملك في الدنيا هو عملك في الآخرة، فلا تتوقع شيئاً جديداً.

• من نعيم الجنة أنك تعيش مع من تحبه وتستلذه في الدنيا، وكذلك من شقاء النار أن تعيش مع الذين ساهموا في ضلالك وأصروا على سوء خاتمتك، وألقوا بك في النار ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

• إلى الذين عاشوا مع بعض على الإيمان والعمل الصالح والمشاريع الكبرى والأفكار الممتعة والمنهج الحق، ورسالة الأنبياء ستلتقون في مواقف الحساب وظلال الجنان ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ وستكون حياتكم كأبهج ما تكون الأحلام.

• سافروا مع بعضهم، وعاقروا المعصية مع بعضهم، واتفقوا على كثير من تفاصيل الرذيلة في أرض الغربة، ويعودون للقاء في عرصات القيامة على درك الرذيلة وتفاصيل الشقاء ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

• إذا أردت أن تعرف من أنت؟ فانظر مَنْ تصاحب ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

• ما ذنب هذه المسكينة تُسأل ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ تُسأل تأنيباً لوائدها، ومن غيَّب جسدها خشية العار مبالغة في إقامة الحجة عليه. كم جهدت تلك الجاهلية في تغييب معالم المرأة خشية العار، وهي ذاتها اليوم تجهد في دفن كل معالم الحياء. كانت الجاهلية بالأمس تحزن كثيراً لولادة أنثى، ولا تقيم لها كرامة، وعادت اليوم تجهد في العبث بذات الكرامة، وأي فرق بين جاهلية تدفنها وتغيبها، وجاهلية تجعلها دمية بلا قيمة ولا معنى! إن كانت الموؤودة تُسأل غداً في عرصات القيامة أمام صاحبها تبشيعاً لصورة ما فعل، فكم من موؤودة أخرى دفنت على تراب الشهوة والرذيلة سيسأل أصحابها ذات السؤال!

• دفْنُها جاهلية وإخراجها سافرة جاهلية لا فرق، الأولى بَنَتْهَا العادات والتقاليد، والثانية بنتها الشهوات ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

• أدخل أحدهم بنته على ضيوفه تقدِّم الشاي، والأخرى ترتِّب الطاولات، والثالثة تفتح النوافذ المطلة على الهواء، أغاروا على جاهلية

الأمس شـامتين، فعادوا في جاهلية القرن العشـرين مرتكسـين ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ لا فـرق بيـن وأدها حيـة في قبر، ووأدها حية في ساحة قصر!

• إذا كان الوائد يُسـأل يوم القيامة عن دفنها خشـية العار، فكيف بسؤال المنافق الذي أخرجها بغية الفساد ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

• مساكين أولئك الذين عاشـوا لحرب الفضيلة ووأد القيم وإشاعة الرذيلة، وجعلوا المرأة وسيلتهم الأولى في ذلك ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

• تقضي المرأة ساعات طويلة أمام المرآة لا لتسعد زوجها وتبهجه، كلا! وإنما لتذبح قيمها، وتسـفك ماء فضيلتهـا، وتكتب قصة عارها، وتتعرَّض لسـرَّاق الفضيلة على جنبات الطرقات ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

• في مـرات كثيرة تبـدأ قصة الوأد عـن طريق وسـائل التواصل الاجتماعي بسؤال، واستفسـار، وحديث عابر، وصورة ربيع، وفكاهة، وقصة لقريب وقريبة، وفـي النهاية تتم تفاصيل الـوأد بكاملها وتنتهي الفضيلـة ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ مثل هـذه هي التي وأدت نفسها، ولم تحتج إلى آخر ليئدها.

• ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ كم من منشـــور مخزٍ لصاحبه! كم يا ترى هي أفراح صاحب رســـالة، وهدف، ومشـــروع ظل يسعى كل عمره في البناء! وكم هي أحزان صاحب شهوة وقد أعيد التاريخ من جديد!

• رأيت طوابير طويلة تنتظر نتائج مسابقة في الدنيا، وقد علاها الغم والهم والألم، فكيف بالواقفين لنتائج أخبار تلك الصحف في ساحات القيامة ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾.

• ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ علم النتائج والمـــآلات لا علم العمل والاستعداد.

• ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ نتيجـــة نهائية لا تقبـــل محاولة ثانية، وكل الأعذار فيها غير مقبولة.

• هل تدري على ماذا يقسم ربك؟ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ يقســـم تعالى على هذا القرآن أنه من كلام جبريل باعتبار أنـــه مبلغ به من ربه تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ فتأمل حـــق هذا القســـم، وقـــم بواجبك تجاهه، وســـتلقى حظوظك منه كما تشاء.

• ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ كأنما ألقى الليل عن كاهله وعاد يستنشـــق هواء الحريات.

• كما أنَّ الليل يدبر ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ فكذلك اليأس والإحباط والقنوط ما يلبث أن يطوي واقعه من حياة الكثيرين.

• سيأتي صبح الفأل والأمل مهما طال ظلام اليأس والتشاؤم ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ تَنَفَّسَ ١٨﴾.

• تأخر حفظه، وأبطأ في مشروعه، ولم ينجح في دراسته، وتأخر في تخرجه، لا تيأس؛ ففجر الأمل كفجر الصبح لا فرق ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ تَنَفَّسَ ١٨﴾.

• يعاني من مرض، ويشكو من إحباط، ولدى ابنه مشكلة، ويعاني من ظروف زوجه، لا تقلق؛ فالفجر أوشك على إزاحة الظلام ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ تَنَفَّسَ ١٨﴾.

• قُتل جموع من المسلمين، وشُرِّد الأطفال، وكثر اليتامى، وتفشَّت الإعاقة، ولم نجد ناصراً يهتف بعون، لا تجزع؛ فالفجر أوشك على الحياة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾.

• إلى كل المشردين في بقاع الأرض، والأرامل في مساحات الغربة، والجوعى الباحثين عن لقمة العيش، ومن يشتكي في ليل الشتاء مسَّ البرد: قد آذن ليلكم بالبلج وصبحكم بالإسفار ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾.

• هذا القرآن يحتاج إلى مدركين لشرفه، وحُمَّال لرسالته، وعاملين به، ألا ترى كيف أثنى الله تعالى على حامله جبريل عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾.

• (الجود بالعلم) من أعظم صفات الكبار! وما رأيت كبيراً أوتي حظاً من العلم إلا وهو يبذله لسائليه بأوسع ما يكون! وعلى رأس القوم وفي مقدمتهم صاحب لواء الفخر في هذا الباب رسول الله ﷺ، وهذه شهادة

ربه تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ وإذا رأيت من نفسك إقبالاً على نشر ما آتاك الله تعالى فذلك من فواتح التوفيق. وقد قال الشافعي رحمه الله: (وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم، ولا ينسب إليَّ منه شيء) اهـ.

• أخذ على نفسه وعداً أنه كلما تَعَلَّم شيئاً علَّم غيره، ما أبهج العلم في حياة هؤلاء ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

• كلما وجد كتاباً ثميناً، أو رسالة مفيدة، أو مؤلفاً جميلاً، أو وسيلة مقرِّبة للعلم عمَّمها، وأفشاها، وأوصى الآخرين بها، تلك بعض بركات العلم في حياة أصحابه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

• يبذل في سبيل مشاريعه الخيرية جهوداً ضخمة، وقد عني بدعم الأوقاف وكلما زار تاجراً، أو دعم من مؤسسة، أو وجد تجربة، أو رزق شيئاً باشر جواله ليخبر إخوانه العاملين في الجهات الخيرية باستثمار ما وجد ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

• يحزن كثيراً أن يعرف الناس ما عرف، أو يجدوا ما وجد، أو يصلوا إلى ما وصل إليه، فأين هذا من أخلاق الكبار؟ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

• سرُّ المهنة بضاعة المفلسين ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

• إذا أردت أن تعرف ساحات الجود والعطاء وحدودهما، فاقرأ سيرة نبيك ﷺ تجد الحقائق أبسط ما تكون ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

• إذا أجدب قلبك، وذبلت مشاعرك، وثقل جسدك، فأعد قراءة هذا الحادي بإمعان ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

• معرفة التاريخ وسنن الله تعالى في الأرض فرع عن هذه الذكرى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

• يمكنك أن تقول ما تشاء، وتفعل ما تشاء، وتذهب حيث تشاء، وفي النهاية لن تجد مهرباً من العودة مرغماً ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

• حين تقعد على كرسي المسؤولية، وتتولى شأناً من شؤون المسلمين تذكَّر هذا السؤال الكبير ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

• إذا جعلك الله تعالى وكيلاً على يتيم، أو ولياً على امرأة، أو بيدك إقامة عامل في أرض غربة، فتذكَّر أن هناك موعداً للحساب ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

• افتح من قنوات الإعلام ما تشاء، واسمع إلى ما تشاء، ووزِّع نظرك حيث تشاء، وتذكَّر في المقابل أن كل هذه الأشياء محاطة بهذا السؤال ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

• الهداية وقف على مشيئتك، وطريق مفسوح للراغبين إلى قُبيل حلول ساعة الموت ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ وما على الراغب إلا أن يأتي إلى ربوعها، ويسلك مواطنها، ويقف سائلاً لربه تعالى أن يمن عليه بها. ولن يتنزَّل توفيق الله تعالى من السماء بارداً، وإنما يحتاج إلى صدق رغبة، وسلوك طريق، وحسن إقبال.

• كما أنَّ الهداية وقف على رغبتك هي في المقابل تَفَضُّل من ربك ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

سُورَةُ الإِنفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾.

• نافذة على خراب العالم، ونهاية الكون، وبداية رحلة الجزاء والحساب ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾.

• خراب هذا الكون مؤذن بإيقاظ القلب من غفلته ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ وكم من حادث في هذا الكون كافٍ لإيقاظ الإنسان وبعثرة مشاعره لو أراد!

• وما تنفع الذكرى بعد فوات الأوان في شيء ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾.

• كل علم لا يكون له حظ من التطبيق في واقع صاحبه لا قيمة له في حياته ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ كهذا العلم الذي عرفه أصحابه جاء في وقت لا قيمة له.

• غاية كبرى تلك التي يدير الله تعالى من أجلها الكون ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾.

• كم من محتاج للإجابة على هذا السؤال العريض يوم القيامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ ما أكثر سؤالات القرآن التي تخاطب قلوبنا ومشاعرنا، وتثير فينا الشجون! وما أقل انتفاع كثيرين من هذه السؤالات!

• أثر من آثار ضياع بوصلة الشمال عن جهتها الأصل ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ كذَّبوا؛ فأضاعوا هذه الرؤية من أصلها.

• ولن يفوت على الله تعالى شيء ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

• يلجون الظلام، ويقفلون الأبواب، ويحكمون كل شيء، وينسون في النهاية رقابة الكبير المتعال ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

• في وقت خلوتك تحسَّس زوايا غرفتك ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

• هذا جرَّد ثيابه، وذاك وقَّع أوراقه، وثالث فتح جواله، ورابع أشرف على عورات الآخرين، وفاتهم شهود الخلوات ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

• في اللحظة التي تتسوَّر فيها جدار القيم والفضيلة لا يبقى من عورتك شيء مستور ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

• كتب على شاشة جواله، وحاسوبه، وجدار غرفة نومه ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ أراد أن تكون درعاً ساتراً عند الفوضى في زمن الظلام.

• ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ تكفي عن كل كاميرات المراقبة التي تدفعون من أجلها مالاً كثيراً.

• كاميرات المراقبة تضبط فعلك وتحملك مسؤولية وقتية، وملائكة الله تعالى يسجلون تاريخاً، ويدوِّنون أسراراً تكشف يوم الحاجات ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

• نظام البصمة في العمل يضبط دخولك وخروجك، وقد يحمِّلك بضعة ريالات في آخر الشهر، بينما هذا المعنى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ يضبط كل لحظة من عمرك، ويسجلها في كتاب الحساب والجزاء.

• الرقم السري في جهازك قد يحميك من فضائح الدنيا بينما لا يتمكن من سترك أمام فضائح الآخرة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

• ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ في أيام الدنيا، وفي القبر، وفي يوم القيامة لا فرق.

• ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ إن لم تشعر بها الآن، فتفقَّدْ إيمانك، فلعل مانعاً في الطريق.

• أدركت الآن سر مقالة الأول: (وإنها لتمر بالقلب ساعات يرقص فيها القلب طرباً من ذكر الله) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾.

• محرومون أولئك الذين يدركون هذا المعنى ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ ثم لا يبدؤون.

• ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ كلما ضعف أثر هذا النعيم في قلبك، فأفض عليه من أعمال العمل الصالح ما يثير مباهجه.

• ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ لا يحول بينها وبينك إلا نقص في واجب أو أثر من معصية.

• ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ جحيم في كل شيء، في الدنيا، وفي القبور، وفي ساحات القيامة لا فرق.

• مساكين يلبسون ويأكلون ويسكنون قصور الدنيا، ويموتون مراراً في عرض الطريق ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾.

• يلبس مباهج الثياب، ويتمنى أن لو شقها عن جسده من الألم ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ أما قلت لك يوماً أن مباهج القلب لا يعدلها شيء.

• إذا أدركك الوهن، وطال عليك الطريق، وضعفت همتك، فاستقبل هذه الآية بوجدانك ومشاعرك ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى
سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠
ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ
يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ
لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤
يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

• التعامل مع الآخرين دِين، ولولا ذلك لما كان هذا الوعيد للمفرِّطين في حقوقهم المضيِّعين لواجباتهم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ إن مشكلتنا اليوم هي هذا الفصل بين حقوق الله تعالى، وحقوق الآخرين.

• التطفيف ليس شيئاً خاصاً بالمكيال الحسي في أرزاق الناس ومأكولاتهم، بل هو جارٍ حتى في معاملات الناس المعنوية، وما أكثر العبث بهذه المعاني في الواقع. كثيرة هي صور التطفيف التي تتوسَّط واقع الناس، وكم من مطفف اليوم على حساب زوجه، وابنه، وعامله، وجاره، ووظيفته. والله المستعان! كثيرون أولئك الذين يطلبون حقوقهم وافية، ولا يؤدون واجباتهم كما أراد الله تعالى، وهذا طبع غالب في الناس إلا من وفقه الله تعالى، ترى هذه المعاني في صورة والد يريد من أبنائه براً وقياماً بحقه وقد أضاع حقوقهم وأساء إليهم، ومثل ذلك

الزوج مع زوجه، والإنسان مع خدمه وأجرائه، والمعلم مع طلابه، والمسؤول مع رعيته، وتجري هذه الصور في كثير من أحوال الناس دون وعي.

• هناك مشكلة ظاهرة، وخصام سافر بين (الحقوق والواجبات) ينتهي غالباً لصالح الحقوق، وقلَّ أن تجد فرداً يترك شيئاً من حقوقه في مقابل التخلُّف والتأخر في أداء واجباته ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

• ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ رسالة إلى كل عابث بحقوق الآخرين، ورسول نذير للمفرِّطين في واجباتهم. يا ويلهم إن لم يرعووا عن هذه الأخطاء، ويقيموا حقوق الله تعالى لهم.

• ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ لو قيلت لك من مسؤول لَمَا ذاقت عينك النوم؟ فكيف والمتوعِّد الله!

• ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ في حَبٍّ يأكله الناس، ويسدون به جوعهم، فكيف بها في حق والد ويتيم وعامل ومسكين!

• ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ كما هي في المكيال الحسي، فهي كذلك في المكيال المعنوي لا فرق.

• كلما ارتقى الإنسان في إيمانه أدى واجبات الآخرين، وقام بحقوقهم، وتحرَّج من أدنى نقص، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ ما يبين عن هذا المعنى الكبير.

• كم من ظـنٍّ أوقع صاحبه في حمـأ الرذائل ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

• يسرقون، ويغشون، ويظلمون، ويعبثون بالقيم، ويظنون أنهم على الطريـق ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

• إذا رأيت سارقاً لحقوق الآخرين، غاشاً في ميدان فضيلة، منتهكاً للقيم فنادِ عليه بأعلـى صوتك: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

• قَدَّم ولـده في الوظيفة، وحابـى صديقه في المناقصة، وأرسـى مشاريع على شـركة جاره، ونسـي واعظ القرآن ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

• أدار معاملة ربوية، وتسلَّط على عورات المسلمين، وانتهك محارم الله تعالى، فما يصنع بذكرى اليوم، ومواقف الحساب بين يدي الله تعالى ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

• الأسفلون هنا هم الأسـفلون هناك لا فرق ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾.

• صَاحَبَه في السـفر للرذيلة، وحضر معه سفك القيم، وشاركه في تزييـف الحقائق، ولم يفترقا فـي الدنيا، فجمع الله تعالـى كتابهما في أسفل أرض، وفي أسـوأ معنى ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾.

• اجتمعوا في الدنيا على الدنايا، فجمعهم الله تعالى يوم القيامة على نهايات السوء ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾.

• كل تأخر ينال الإنسان في دينه مرده لتكذيبه بالوحي ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١﴾ وكم من مصدِّق بقوله مكذِّب بعمله وواقعه!

• الاعتداء على حدود الله تعالى، والتعدي على حرماته فرع عن التكذيب بالوحي ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾.

• كم من معصية حالت بين صاحبها وبين التوفيق ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾.

• لا تستغرب حين ترى من يُلقي بنفسه في مهاوي الردى دون ضابط، وكلما خرج من أسر قضية عاد في أخرى، وكلما وجد فرصة سانحة إلى ظلم وعدوان سارع دون مبالاة، وهذه الصور بعض الدلائل على تغطية المعاصي على قلبه، وتأثيرها في حياته، وحيلولتها دون وعيه وإفاقته ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾.

• إذا رأيت من نفسك تأخراً عن طاعة، وعدم اكتراث بمعصية، وبرودة قلب عند واجب، فذلك من أعظم الأدلة على مرض القلب وعلته، ولعلك رأيت من يدخل المسجد فتعسر عليه أن يصلي ركعتين، ومن يبقى زمناً في المسجد لا يتمكن من مدِّ يديه إلى كتاب الله تعالى،

وكلما اشتهت نفسه خيراً وقفت جوارحه عاجزة عن التمام. والعاقل من أدرك نفسه قبل الفوات ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾.

• لا تأخذ رأياً ممن يعيش في ساحات الظلام، لو كان يبصر شيئاً من الحقائق لأنقذ نفسه، فما لك وللظلام! ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾.

• المجهدون من اليأس والإحباط والفشل والقنوط هم الذين قطعوا جزءاً كبيراً من حياتهم في الظلام ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾ مستحيل أن تجد تقيًّا صالحاً في ساحات الظلام.

• لا تقف المعصية بصاحبها عند حد، ولا تزال به حتى تحرمه من كل شيء ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾.

• إنما عَلَا كتاب القوم لعلوِّهم في أفكارهم ومفاهيمهم وأهدافهم وطموحاتهم ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾.

• على قدر أمانيك تأتي نتائج النهايات ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾.

• إذا ضاق بك الطريق، وكلَّت بك النفس، وأتعبك بذل الجهد في المشروع فردِّد هذا الحادي على قلبك ومشاعرك ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦﴾.

• إذا رأيت بارداً متأخراً متثاقلاً عن غايات الآخرة، فاضرب قلبه بسوط الذكرى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

• لا تغبط أحداً في شيء مهما بلغ حجمه إلا في سباق على مباهج الآخرة ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

• ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ في مثل هذه الميادين تكون صناعة التحديات.

• كل الحوافز التي تمنحها مشاريعك وأهدافك وغاياتك تجري في فَلَك هذه الدعوى المثيرة للنزال على الخيرات ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

• خلق بيئة التنافس مورد للسباق على الخيرات ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فليتفطَّن المربون لهذا المعنى الكبير. إن البيئة التي لا تخلق مورداً للتنافس ومجالاً للسباق لا تصنع بريقاً للحياة في واقعها، وعلى المربين آباءً ومعلمين أن يخلقوا هذه المعاني في كل مساحة يشغلونها.

• كل تنافس تراه من أجل الدنيا، فلا قيمة له ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ درس للذكرى!

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ لا يسمع موسيقى، ولا يصافح فتاة، ولا يشهد احتفالات، ولا يتنزه مع الناس، ويتحرجون من الربا، ولا يشهدون فوضى الحياة!! يضحكون على امتثالهم لدين الله تعالى.

• من العدل أن يوصف الناس بوصفهم الحقيقي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

• كل من يتعرَّض لأولياء الله تعالى، ويقف دون امتثالهم لدينه فهو مجرم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

• الوحي يعيد بناء التصورات والمفاهيم في أذهان كثيرين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ المجرم من وقف دون دين الله تعالى وطارد أولياءه.

• كلما أقبل شاب في مجتمعه على الاستقامة لمزه وخوَّفه، وبعث لأبيه يهدِّده حتى ترك الاستقامة وعاد ضائعاً، هذا هو الإجرام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

• الصراع بين الحق والباطل، والمدافعة بين أولياء كل طريق سنَّةٌ ثابتة، ستظل ما بقيت الحياة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾.

• كثيرة هي الانتصارات الوهمية التي تنال تصفيقاً مدوِّياً من الجماهير، ثم لا شيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾.

• حتى الضحك على أولياء الله تعالى سيطوله القصاص ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

• سيطول أمد الحقائق لكنها في الطريق للوصول ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ اليوم! مع أنه طال انتظار موعده وأيامه.

• الجراح التي يلقاها المؤمنون في ساحات الدنيا معوَّضة بالجزاء في ساحات القيامة، فاصبروا يا صنَّاع الحياة ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

• مَنْ يضحك أخيراً؟!! دعونا نرتقب ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

• كل وصف لا أصل له في الشريعة، فهو مردود على صاحبه ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ وصف الضلال الذي ألقي على كواهل المؤمنين فرية لا سند لها ولا حقيقة.

• ما أسهل الدعوى! ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ وصفوا غيرهم بالضلال وبقيت الحقيقة من حقهم فحسب.

• ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ إي والله يارب! ما من خبر هنا إلا وهو حقيقة هناك.

❁❁❁

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾.

• بعض مشاهد العبودية لخلق الله تعالى ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾ فما جواب الإنسان عن تعظيمه لربه وقيامه بحقه؟

• من المفارقات الكبيرة أن يأتي جماد سامع ومطيع لربه تعالى وإنسان متمرِّد على دينه ومنهجه ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾.

• التعب والكدح والمعاناة أصل في الدنيا، ولن تأتي اللحظة التي يتخلَّص فيها الإنسان من هذا العناء إلا بأول قدم يضعها على عتبة الجنان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

• فرق كبير بين كدح وكدح. فرق بين كدح صاحب الرسالة، والمشروع والمنهج في طريق الحق، وبين كدح صاحب الباطل! قد يتفق هذا الكدح عند كل إنسان في الجهد، والحركة، والمعاناة، لكنه يختلف اختلافاً كبيراً في أثره على واقع الإنسان وحياته، وفي يوم معاده ويوم جزائه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

• حتى الطاعة تأخذ المعنى ذاته من الكدح في الحياة! هناك صور كثيرة منها لا تأتي إلا على جسر التعب والمعاناة، وكم من كدح فيها عاد على صاحبه بالأفراح! وإنما كانت الجنة درجات لهذا المعنى الكبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

• كلما تعبت في طريقك، وكَلَّ جسدك من العمل، وضعفت همتك في السير فكُرَّ عليها بهذا الأمل الكبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ

﴿كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ ملاقيه أثراً عاجلاً في نفسك، وبيتك، وعملك، وسائر حياتك، وملاقيه جزاءً في قبرك، وملاقيه يوم الوقوف بين يدي ربك.

• الجزاء من جنس العمل! وكل كادح يلقى جزاء كدحه في الدارين! كادح الطاعة يلقى هذا الوعد الكبير ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ وكادح المعصية يلقى في النهاية ذلك الوعيد المشؤوم ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾.

• من فقهك وكمال عقلك أن تستثمر طاقاتك ومهاراتك وقدراتك في مشروع، وتعيش كادحاً في الطريق إلى الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

• حتى غبار قدمك في مشروع، وليلة سفرك، وبذل أوقاتك في سبيل الله تعالى ستأتي ضمن كدح الحسنات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

• ملازمتك لأمك، وقيامك بدورك مع أبيك، والتزامك بمشروع طيلة عمرك كل ذلك كدح الخيرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

• ملازمتك لصلاة الجماعة، وحرصك على تكبيرة الإحرام، وصدقتك الدائمة، وقراءتك لكتاب الله تعالى سيأتي ضمن كدح الحسنات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

• حتى ابتسامتك، وتسبيحك، وعونك لجارك، وأخذك بيد عاجز في الطريق، وقيامك على الأيتام من هذا الكدح الطيب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾.

• حتى كلمتك الجارحة، وخطوتك في غير صالح، وتوقيعك على خطاب فاسد، وتوظيفك لمن لا يستحق، كلها في باب كدح السيئات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾.

• لا تحتقر عملك أيّاً كان، سيأتي يوم القيامة محسوباً في الحسنات أو السيئات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾.

• نافذة على النهايات ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ وكم من فائز مسرور بكدحه! وكم من حسير محزون من كدحه!

• كم من مسرور في أهله غير مدرك لعواقب زمانه! وكم من منعَّم يظن أنه مستريح من العناء، وفي النهاية تأتي الحقائق بغير ما أراد ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣﴾.

• لن يدوم الإنسان على حال، كم من شاب موفور الصحة عاد في النهاية شيخاً مسنّاً يعجز عن حمل قدمه! وكم من صحيح في جسده عاد عليلاً كسيراً من الأمراض! وكم من صاحب فكر وعقل عاد في النهاية لا يملك زمام كلمة، وكذلك الزمان يكرُّ في الخاتمة على

الإنســان فيورده إلى هذه الصور من النهايات، والله المســتعان! وحالٌ كهذه حقيق بصاحبها أن يبادر لحظاتها ويغتنم فرصها، ويهب من شبابه لكبره، ومن حياته لموته، ومن صحته لسقمه، وفي الحديث: «**إذا سافر العبد كتب له من العمل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً**» ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ [الانشقاق: ١٩].

• خلــل الرؤية أخطر ما يواجه الإنســان فــي حياته ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢﴾.

• ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾ دواء لليأس والألم والمعاناة وشقة الطريق الطويل.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ
أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا
يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾
إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو
الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ
وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ
هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾.

• رعاية الله تعالى لعباده المؤمنين ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ يقسم تعالى بهذه العوالم الكبرى على طرد ولعن كل من عرض لهم في طريق الحق، وآذاهم، أو حال بينهم وبين دينهم. وأنت من تلك الفئة التي يحبها الله تعالى، ويدافع عنها ويجلُّها ويرعى شؤونها في الدارين.

• لا تتوقع من عدوك إلا مثل هذه الجرائم ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ إلى يومك هذا، وهم يقتلون ويذبحون ويشردون، ويصنعون كل شيء.

• العدو يعرف الفرص ويجهد في استثمارها في صالح فكرته المشؤومة ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ لما قال الحاضرون قصة الغلام: (آمنا برب الغلام) استثمر جمعهم ثم حفر الأخاديد وأوقد النار وألقاهم فيها ليشفى غليله.

• الفكرة الحية كافية لطعن العدو، أحرقوهم في الأخاديد لأنهم اعتنقوا فكرة الحق وآمنوا بمنهج الله تعالى فحسب ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾.

• ليس بالضرورة أن تحمل سلاحاً للعدو في أرض المعركة؛ يكفي إيمانك الحقيقي بدينك جالباً لسخطه، ونزالك في أرض المعركة ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾.

• يطيش العدو حتى يتصرف كالأعمى لحظة انتصار الحق في مساحة من الأرض فقط، حين قالوا: (آمنا برب الغلام) أوقدوا الأخاديد وأضرموا فيها النيران، وقذفوهم فيها في الحال ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾.

• فرق بين أن تردد الإسلام صورةً وشكلاً، وأن تعتنقه عقيدةً ومعنى! الأول يصالحك العدو لدرجة أنك جزء منه لا فرق، والثانية يقوم في طريقك ولو خسر كل شيء ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾.

• الإسلام حركة شعورية تملأ كيان الإنسان حرية، فلا يرضى بالدون، وإذا لم يكن لك من ذلك شيء، فلا مفروح بك في أعداد المسلمين ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ لولا أن هذا الدين قام في نفوس هؤلاء عقيدة ومعنى لما رضوا بالنار في مقابل الحياة العاجلة.

• رأيت المساجين من المسلمين في بلاد الغرب، فأدركت أن العدو لا يمكن أن يدع الأحرار في فجاجها دون رباط ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾.

• لم يكن مفهوم النصر حصراً على الانتصار في معركة، أو ساحة جهاد! وإنما ممتد إلى صور كثيرة، يأتي على رأسها صبر المؤمنين على منهجهم وتحملهم تكاليفه وأعباءه، والطمأنينة به حتى لو كلَّف موت الإنسان ووداعه من الحياة. وهل رأى عاقل صورة مثل صورة هذا

الشاب يدل الناس على الإيمان، ويصنع من دمه حريات الشعوب! وفي الحديث: «**فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ**»! وهل رأت أمة صورة أعز من صورة هؤلاء الأفراد يتقاذفون في النار واحداً تلو الآخر دون أن يلوي أحد منهم عنقه للوراء! وإذا بلغ دين الله تعالى في النفوس إلى مثل هذه الصور، فتلك أروع صور النصر وأمثل مشاهد الوفاء. لا تسل عن الأرواح التي أُزْهِقت، والنفوس التي استشهدت، وقد عاد دين الله تعالى أمثل ما يكون.

• الموت من أجل فكرة الحق حياة للجماهير المنتظرة (ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ)!

• رأيت أناساً يموتون فتحيا بموتهم جماهير، ورأيت أحياءً كالأموات لا فرق (ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ).

• وا شوقاه للمجاهدين في الأرض، لا أعني صورة القتال التي تقف ماثلة في الذهن عند هتاف هذا المعنى في الأذن، وإن كانت هي أصلها ورايتها، وإنما أعني جهاد الكلمة، والرسالة، والمشروع الذي يدفع بالإسلام أن يكون حيًّا ماثلاً في العالمين.

• العدو لا يقوم للإرهاب كما يدعي، يقوم لقمع راية الإسلام حين يراها بدأت تأخذ واقعها من الحياة ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾.

• إذا سمعت مذيعاً يردد، أو رأيت صحفيًّا يكتب عن هدف عدو في معركة يقيمها لغير هذا الشأن ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فكذِّبه فذلك من الاحتساب على المنافقين.

• إذا روَّج الإعلام زيفه وكذبه وسوَّق للعدو صورة الحرب التي يشنها في جزء من رقعة الإسلام أنها للعدالة والديمقراطية، فاقرأ عليه هذا المعنى الكبير ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

• احفظ هذه الآية واضبطها جيداً ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ حتى تستطيع أن تلجم بها الأفاكين في دير الإعلام في مثل زمانك.

• لا تحاول أن تقنعني أن خيل العدو وعدته وأمواله في أرض الإسلام من أجل عيون المسلمين ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ كذبوا وصدق الله تعالى.

• إذا قمت تتدبَّر كتاب ربك، أو تقيم مشروعاً لفهمه، أو تفتتح مؤسسة لإحياء معانيه، فقد فتحت باباً للمعركة الكبرى مع العدو ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

• لن تكون جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في بلاد المسلمين جزءاً من المعركة إلا من خلال تربية طلابها على تدبر وفقه وفهم كتاب الله تعالى ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ والإيمان في الحِلَق لا يأتي إلا من خلال فهم وفقه وبعث لمعاني القرآن في النفوس.

• ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ الإيمان أثر لفقه الوحي، وتدبر كتاب الله تعالى وقراءته قراءة مشاعرية وجدانية بداية الطريق وقاعدته.

• للإيمان ضريبة ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ شعاع القلب المتوهج في النفوس من أثر ذلك الإيمان لا يستوثق حتى تلفحه النيران.

• الابتلاء على قدر الإيمان ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ كلما زاد إيمانك زيد لك في البلاء، مساحات الربيع لا تتوسَّع حتى تجد مسَّ النيران.

• الزمن ليس شاهداً حيَّاً على نماء جذر إيمانك، يكفي الإيمان الصادق شواهد الحال ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ من لحظة إيمانهم ثبتوا على تكاليف الطريق.

• الإيمان لا يحتاج إلى مساحة تصنعه، يكفيه لحظة صدق في البدايات ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ هذا يدخل النار ليموت في مقابل أن يبقى دينه، وذاك يخسر كل شيء من أجل شهوته، ما أبعد الفرق. ونتكلم هنا عن تصورات صحيحة ولسنا بحاجة أن نبين في كل مرة الانحراف عن المنهج من خلال بعض التصورات.

• الدين لا يكوِّن مساحات الربيع في قلب صاحبه حتى يجد شدة في الأيام وشقة في التكاليف ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾.

• الابتلاء جزء من تكاليف الطريق لم تتخلَّف في عصر أو زمن، وكلما استوثق الإنسان من دينه زادت شقة الابتلاء في طريقه حتى يلقى الله تعالى أمثل ما يكون ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾.

• هل مرَّ بك في حياتك مثل هذا المعنى في الرحمة! يقف هؤلاء المجرمون في طريق دينه، ويحاربون أولياءه، ويحرقونهم في أخاديد النار، وبعد كل ذلك يدعوهم للتوبة من جديد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ ما أعظمك يا رب.

• لم تُبق هذه الآية مساحة من يأس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾.

• ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ دعوة لفكِّ أغلال الوهم.

• إلى كل اليائسين والقانطين من رحمة الله تعالى: خذوا من هذه السعة مع المجرمين مراكب للنهوض من جديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾.

• أيًّا كانت خطيئتك، وسيئتك، وجريمتك فما زالت مراكب التوبة فارغة في انتظارك ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ لا أعني التوبة تلك الكلمة التي ترجو بها الفكاك من الخطيئة لحظة أثر الذنب، كلا! أعني الانكسار والصدق والإقبال والعزم على عدم العودة والفكاك من ربق الذنب.

• الإيمان والعمل الصالح يصنع أماني الإنسان ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

• كل معاني الفوز التي تتردد على مسمعك لا قيمة لها مقارنة بهذا الفوز الكبير ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

• هذا يبكي فرحاً لفوز فريقه، وذاك يبكي حزناً لهزيمة فريقه، وآخرون يفرحون ويبكون لفوز عارض من أحلام الدنيا، فأين هذه الأحلام من فوز الحقائق الكبرى؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

• ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ رسالة لكل المسرفين في الأرض المخدوعين بأمد الحياة الطويل.

• إذا رأيت مغلوباً على أمره فذكِّره بناصره ومعينه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

• مساكين أولئك الذين يظلمون الناس لقوتهم، أو جاههم، أو مالهم، أو مسؤولياتهم، نسوا ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

• إذا قلَّ ناصروك في الأرض، فارفع بصرك إلى السماء، وتذكَّر القوة البالغة وسله النصر ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

• في رحاب هذا المعنى ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ حلَّ بقوم ما لم يكن في الحسبان.

• ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ لمسة حنان وود للمرهقين من آثار الذنوب، وللمجهدين من تبعات المعصية.

• المسألة فوق أنك وقعت في ذنب فغُفر لك! إنها مسحة ود ومعروف وبر تلاحق جفاءك وتمسح لأواءك وتأتي على آثار الألم، فتبرئك من كل شيء.

• ما أكثر حاجة القلوب إلى القراءة في آيات الصفات ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ دعوة إلى التأمل في هذا الخَلْق العجيب، وفي حديث رسولك ﷺ: «**أذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام**». فكيف

بالعرش ذاته، فـإذا ما قرأت قول ربـك: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ أدركت كم تُخلِّف هذه الصفات في قلوبنا من معانٍ وآثار!

• هـذا الوصف العـارض: (**أذن لي أن أحدِّث عـن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام**). لملَك واحد من ملائكة ربك، فما بالك بمن معه! فما بالك بالرب!

• لو تخيَّـل عاقل وصف الملَـك لما تجرأ علـى معصية صاحب المُلك! ما أبشع صور الغفلة في حياتنا!

• من فجر التاريخ والحق والباطـل في صراع ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ ما يبين عن أمد ذلك الصراع.

• النصر للحق والغلبة له وإن طـال الزمان ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ هذا حديث القـرآن عن صراع الباطل ومواجهته للحق، وحديث كذلك عن الهزائم التي منوا بها في تلك الأيام ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾.

• يكفي أنَّ الدين دين الله تعالى، وهو ناصر دينه ومعلي كلمته ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ الله تعالى من ورائهم وليس أهل الحق، بل القوة الإلٰهية هي تواجه باطلهم لا قوة البشر، سلطان الله تعالى وملكه وجبروته في مقابل قوى بشـرية لا تسـتمد أنفاسها التي تجري في أجسادها إلا من الله.

❁ ❁ ❁

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧ ﴾.

• كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، فكل ما يجري في هذا الكون، فإنما هو بأمره وتحت سلطانه وقدرته لا يفوت منه شيء عليه تعالى ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾.

• رقابة الله تعالى، فكل ما يجري من الإنسان مرصود مكتوب لا يفوت منه على الله تعالى شيء ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾.

• لا تأخذك نفسك بعيداً عن الله تعالى أو عن المخلوقين ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ هذا هو أصلك وبدايتك وحقيقتك فلا تبتعد كثيراً. تعلَّم كيف تتواضع للحق الذي يأتيك، وتُعظِّم ربك وتقيم له شأناً في واقعك، وتعلَّم في المقابل كيف تؤدي حقوق الله تعالى وترعى شأنها، وأنت ترى كل من حولك أفضل منك تقوى وصلاحاً وخلقاً وأدباً.

• القلب أصل العمل، وكل عمل جوارحك إنما هي نتيجة لذلك الأصل الكبير، وإذا صلح ذلك الأصل صلح سائر العمل، وإذا اختل خرب كل شيء، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»، وأول الأسئلة وأهمها سؤال السرائر ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾.

• خلواتك وسرائرك هي وجهك الحقيقي، كم رفعت هذه السرائر من عمل! وكم حسَّنت من خاتمة! وما ينفع إنساناً ثوب يورق جمالاً وقلبٌ مظلمٌ حسداً ونفاقاً! وما ينفع حديث لسان وقلب منطوٍ على كبائر الخلوات ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ وقد قال ابن الجوزي رحمه الله: الله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر.

• كل الحقائق مردها لهذا الوحي ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ وما عدا ذلك عاريَّة لا قيمة لها في واقع صاحبها.

• ما قيمة هذا المعنى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ إذا لم يتولَّ صياغة أفكارنا، وإصلاح أرواحنا، وبناء مفاهيمنا وتصوراتنا. مؤلم أننا

نتهافت على الكتب المترجمة كمثال، وندفع فيها أموالاً وأوقاتاً، وندفع أعظم الحقائق بين أيدينا وبدون مقابل من الأموال.

• كانت تلك الأجيال توقظها آية من هذا الوحي وتعود تكتب حظ الإسلام منها بأبلغ ما يكون ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ سمع جبير بن مطعم قول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] وهو مشرك فقال: كاد قلبي أن يطير! وكانت قريش تقنع كل من يفد إلى مكة أن يحترز من هذا القرآن حتى يضع في أذنه القطن ثم ما يلبث أن تهزمه آيات القرآن، ويعود منكسراً لسماع هذه الآيات. وما لم نستقبل هذا الوحي بمثل هذا الوعي، وإلا فسيفوتنا كل شيء.

• القرآن الكريم أكبر الأدلة الكاشفة لتزوير الإعلام ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ وفي زمان الفتن والظلام والأزمات لا تفتح أذنيك لزور الإعلام، ضع بصرك بين طيات هذ الكتاب، وستأتيك الحقائق الفاصلة في أرض النزاع.

• كل تحليل أو رؤية لا تجعل هذا الكتاب أصلها ومقصدها، فهي زور وبهتان ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ ولذلك كل هذه التخبطات في رصد الواقع الذي نعيشه يأتي من أننا لم نجعل القرآن هو الأصل وما عداه لا شيء.

• يمكنك أن تبحث عن الدجل والكذب والزور والخيالات في مؤلفات الرجال، أما هذا الوحي فهو الحق الصراح ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾.

• الحقيقة التي يجب ألا تفارق ذهنك في ساعات الليل والنهار أن عدوك يستقطع كل أحلامه في سبيل الكيد لدينك، والترصد له والوقوف أمام أحلامه وأمانيه بشتى الطرق والأساليب ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾.

• الذين ينتظرون صلحاً مع العدو ينتظرون سراباً عارضاً في الصحراء ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾ هذه هي الحقيقة التي يحدِّثك عنها ربك، ويفتح عينيك عليها فلا تغرَّك عنها الأيام.

• قبل أن تستعرض مواقف العدو الحربية التي يشارك فيها عدواناً على أرض الإسلام تأمل تاريخه في كل صناعة أو تجارة أو قضية، فالمسألة أبعد من حرب في مساحة من الأرض ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾ ومثلك أوعى بما يديره في الأسواق فضلاً عن ساحات الحرب الكاشفة.

• ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ لا تُقلق قلبك، أو تجهد مشاعرك، أو تتعب جسدك على ما تراه.

• عليك بذل السبب واستفراغ الجهد في مجاهدة عدوك، وقد وَعَدَك الله تعالى بالنصر في النهاية ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾.

• لا تيأس، وإن طال طريق الأماني ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾.

• كل قضايا الغلبة التي تراها تحدث للعدو مخلوفة بعون الله تعالى بانتصار أصحاب الحق، ولو طال زمان ذلك الانتظار ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧﴾.

- علينا أن نديـر المعركة مع العـدو ونسـتنفد كل أدوات النصر، ونجهد في تحقيق مراد الله تعالى وندع النهايات، فهي موكولة لله تعالى في كل شيء ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾.
- ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ دعوة للتفاؤل والأمل!
- ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ فالمسـألة لا تعـدو مسـألة وقت، وستدور رحى النهايات على رأس العدو.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾.

• من علمك ووعيك وكمال دينك أن تنزِّه الله تعالى عن كل نقص ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾.

• العلم موجب للخشية ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ فهذا الذي يستحق التنزيه هو ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾ وحق هذا العلم أن يقوم بحقه ويتحوَّل إلى تطبيق.

• إذا أردت أن تغري الناس بعمل أو تحثهم عليه، فينبغي أن تستثير كوامنهم تجاهه، بدأت السورة بطلب ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ثم أعقبته بإغراء كبير لتنفيذ ذلك الطلب ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ وإلا ستبقى كثير من نفوس المستمعين جامدة لا تتحرك مشاعرها للعرض الذي قدمته في دعوتك مهما كان بليغاً واضحاً.

• قراءة صفات الله تعالى دعوة لإجلاله وتعظيم شعائره ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ الأعلى صفة، والأعلى قدراً، والأعلى حقاً ومنزلةً جلَّ في علاه، ما أحوج نفوسنا لقيام هذا المعنى الكبير فيها! وما يعطيك، أو يهبك، أو يمن عليك مخلوق وهو فقير! وما يصنع لك الأسفلون! وما يفعلون! إنهم حين يعطونك تقديراً، ومكانة، ورفعة، فكل ذلك قدرٌ من الأعلى، وهبةٌ منه وتوفيق.

• لا تبلغ العقيدة مداها في قلبك حتى يبلغ الأعلى مداه في مشاعرك ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ الأعلى قوة وغيره ضعيف، والأعلى شأناً وقدراً ومكانة وما عداه مسكين، الأعلى ملكاً وتدبيراً وغيره لا يملك شيئاً.

• إذا أردت شيئاً فعلِّق قلبك بالأعلى، وإذا دهمك اليأس والألم والظروف وعقبات الطريق، فانظر ببصرك إلى السماء وقل: يا الله! وإذا أوصدت دونك الأبواب في شيء، فاعلم أن بيده مفاتيح كل شيء، وأنه أقدر على فرجك من كل شيء ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾.

• كل هذه النعم التي تملأ عينك وقلبك ومشاعرك من الله تعالى، فلا يذهب قلبك بعيداً عن هذا المعنى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ هو الذي صنع كل شيء.

• من وسائل تعظيم الله تعالى التفكر في خلقه وإبداعه وملكه وسلطانه في هذا الكون ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ فهذه العوالم التي تراها تملأ هذا الكون هو الذي خلقها، وهو الذي يدير شأنها، وهو الذي هداها لكل شيء. ولو أبصر قلبك قبل نظر عينك لأصابتك الدهشة.

• أما رأيت طائراً كيف يألف عشه، وحية كيف تعرف غارها، وحشرة كيف تهتدي لمكانها، إنه الله تعالى الذي هداها لكل شيء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

• أما رأيت بقرة تخور لفقد ولدها، وشاة تثغو تبحث عن طعامها، وناقة تحن لمن حولها، من الذي هداهم لذلك، إنه الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

• حتى هذه الطيور التي تخرج خماصاً كل صباح وتعود بطاناً في المساء، الله تعالى هو الذي هداها لكل شيء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

• ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ تقال لأمّيٍّ لا يفقه حرفاً من العلم، ثم يصبح بها عالماً في الحياة. سيتولى الله تعالى أمرك كما تولى أمر نبيه ﷺ، سيفتح لك نافذة مغلقة وباباً موصداً، وسيجري لك الأقدار فوق توقعك وخيالك.

• ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ فلا تشغل بالك بمستقبلك، ولا تغتم لحالك، الله تعالى سيتولى عنك كل شيء.

• إذا تعسَّر أمرك، وتأخر فرجك، وضاقت بك السبل، فلا تحتفل بهذه العوارض في شيء، الله تعالى سيتولى شأنك ويدير أمرك، ويفتح لك أبواب الفرج والأمل ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾.

• ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ رسالة في جمال شريعة الله تعالى، وأنها كلها يسر وتخفيف، وليس فيها شيء من العنت والمشقة، ومن قال غير ذلك لم يقرأ منها شيئاً.

• ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ اليسرى في قلبك ومشاعرك وروحك، اليسرى في بيتك وأسرتك، وذريتك، وفي كل شيء، اليسرى في وظيفتك، وعملك، ومشروعك، ورسالتك. لا تظنن أن هذه اليسرى في شيء عن شيء بل هي في كل شيء.

• الدعوة مشروع، ويجب أن تأخذ حظها من نفوس أصحابها وأوقاتهم وأفكارهم، ولا تكون شيئاً عارضاً في حياتهم ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ ليس من حق هذا المشروع أن تدفع به على آذان الناس في كل وقت دون وعي بظروفهم وأحوالهم، بل من لوازم نجاحه وفلاحه وتحقيق مقاصده أن تختار له الوقت الذي يؤتي أكله، ويحقق ثماره ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ إن رأيت الوقت مناسباً والمحل قابلاً وإلا فلا!

• دعوتك دين، فلا تأخذ حظها إلا من قلوب الخاشعين ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ وكل من لم يشرف بها أو يقبل عليها أو تناله مواردها فليس من الخاشعين.

• إذا استكملت شروط التأثير في دعوتك، فلا تغتم للمدبرين عن الدعوة، المتخلفين عن أحداثها ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ فهم لا يصلحون لآثارها في شيء.

• إذا رأيت من نفسك إقبالاً على المواعظ وفرحاً بالذكرى وسؤالاً عن مواطن الخيرات، فتلك موارد التوفيق ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ وإذا رأيت إدباراً من قلبك عن المواعظ، فتفقد قلبك لعل مانعاً وقف حائلاً دون الذكرى.

• الإعراض عن الدعوة دلالة على شقاء صاحبها ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ وإذا رأيت إدباراً عن مواطنها وفراراً من أحداثها، فأدرك نفسك قبل فوات حظوظها.

• فَلَاحُ الإنسان موقوف على قدر تزكيته ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ ومن اقتفى أثر رسول الله ﷺ في هذا الشأن وعني بعبادته والتزم بورد ثابت لا يتخلَّف عنه، فقد بلغ حظه الكبير من هذا المعنى.

• أصل هذا الفلاح المشار إليه في كتاب الله تعالى وقاعدته ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ حديث: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء**

أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه». من خلال التركيز على الفرائض، ثم الرواتب والنوافل كورد ثابت لا يتخلَّف عنه الإنسان في غالب وقته.

• فرق كبير بين الدنيا والآخرة! فرق لا يمكن أن يقيسه عقل بشر! مع كل ما في هذه الدنيا تظل بالنسبة للآخرة كما يضع أحدنا يده في اليمِّ ثم ينزعها وما يعود منها بشيء، فرق يوضحه حديث النبي ﷺ في آخر من يدخل الجنة يوم القيامة، وقد لقي من وعثاء الطريق ما لقي، وفاته حظ المقدمات، ويقول له ربه: «**ولك مثل الدنيا عشر مرات**» فرق لا يمكن أن يبين عن مسافته حرف على ظلال آية، وإنما يقربه حديث رَسُول اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**». وتعجب غاية العجب مع كل هذا البون الشاسع يأتي من يؤثر هذه الفانية على الباقية، ويستعجل شهوات عارضة على نعيم الخلود ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ لو كانوا يعقلون..!

• إذا ألقيت ببصرك على واقع الحياة سترى هذه الآية ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦﴾ تخاطب كثيرين مشغولين بها للدرجة التي تركوا كل شيء من أجلها وبسببها.

• لا يتحرج من تخلفه عن صلاة الفريضة، ويتعامل بالربا، ويجري العقوق في حياته في كل حين، لا يكاد يعرف هدفاً ولا مشروع له في الحياة، صور من هذا الإيثار ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦﴾.

• إلى كل الفقـراء، والمحتاجين، والمعوقيـن، والأيتام، وأصحاب الحاجات: لا تنشـغلوا بالفائت من هذه الحياة، بل انتظروا آمالكم التي ترجون ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾.

• الدين حلقة واحدة تدار في فلكهـا كل أحداث الأنبياء ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾.

• لو لم يكن في هذا الوحي إلا بيان مستقبل الإنسان، وما ينتظره بين يدي الله تعالى لكان كافياً في الإقناع به والإقبال على قراءته وتدبره وامتثال ما فيه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

• قراءة المستقبل والإعداد له وبذل كافة السبل للنجاح فيه من أعظم مقومات الإنسان العاقل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ ومن المؤلم أن يذهب وقت الإنسان في قراءات لا يعرف بها ولا من خلالها الطريق إلى ذلك المستقبل الكبير.

• الجزاء من جنس العمل! هذا العذاب الذي نالوه والجزاء الذي وجدوه أثر من ذلك الفساد والتفريط الذي صنعوه في أيام الدنيا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾.

• قراءة مشاهد النعيم يوم القيامة مفضية لسلٍّ تعب جسدك، وعناء روحك وقلق مشاعرك، وباعثة لأشواق الأمل في قلبك، ودافعة بك إلى مواصلة الطريق مهما كانت تكاليفه وعوائقه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا

﴿رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

• العمل والجد وبذل الأسباب الكافية للتفوُّق هو الطريق إلى بناء مشاهد الأفراح في حياتك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾، ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ لجدِّها وتعبها ومعاناتها مشاقَّ الطريق بلغت تلك الأماني التي كانت تجهد في بلوغها.

• الحقيقة الكبرى أنه كلما زاد سعيك في الدنيا زاد رضاك في الآخرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾.

• الشعور النفسي والوجداني والمشاعري بالنجاح لا تعدله لذة ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ تخيَّل أنك تقف على أعمالك وجهودك ومشاريعك في أيام الجزاء، وترى أنها هي التي زفَّتك إلى عالم الأفراح!

• اللغو في المجالس من مكدرات النعيم ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ ولذا جعل الله تعالى زواله وعدم سماعه من نعيم أهل الجنان. والقلوب الحية تعرف هذا النعيم وتجد لذته وتروق له، وكم من أماكن فيها كل شيء، ولكن اللغو العارض فيها حرمه من تلك اللذات!

• من مباهج الحياة العاجلة ألا تسمع لقنوات الرذيلة وأخبار الفسق وأحاديث المنافقين ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ ومن مكدرات نعيمك أن تصمَّ أذنيك هذه المكدرات.

• تأملك في كون الله تعالى، ومشاهد خلقه مؤذنة لك بكمال تعظيمك وقيامك بحقه تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾.

• حسبك القيام بدورك وواجبك، وليس عليك انتظار الثمار ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ وهذا الدرس يعفيك من هموم الإعراض التي تراها في واقعك ويخلِّصك من حساب عوائد مشروعك وأثرك في الحياة.

• لا يعفيك هذا المعنى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ مِنْ حمل همِّ المشروع، والاستعداد له، والإقبال عليه، وحسن صناعته وإخراجه في أحسن صوره، فذلك أمر مفروغ منه لشرف المشروع وشرف حُمَّاله، وليس لك أن تتلفَّت تنتظر نتائج، أو تحسب عوائد المشروع! من حقك أن تقوم بالدعوة (كمشروع) لكن ليس من حقك أن تكلِّف الناس أن يستجيبوا لجهدك وتعبك.

• لا تنظر لأعداد السامعين لموعظتك، أو المتابعين لك في وسائل التواصل الاجتماعي، يكفيك أداء أمر ربك ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾.

• الالتفات الكلي لعدد قرَّاء كتبك ورسائلك، وعدد متابعيك في وسائل التواصل الاجتماعي، والانشغال بذلك، وتأثيرهم على سيرك القادم في طريق مشروعك خلاف الغايات الكبرى لمشروعك ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾.

• الذي يسألك عن عدد حضور موعظته، ويغتم لقلتهم، ويتخلف فيما بعد لأجل ذلك، فلن ينفعك في شيء، يكفيه غفلته عن الوحي ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾.

• ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ تعفيك من القلق، والغضب، والعتبى على أحد، امض في طريقك، وابذل ما تقدر على بذله وتحقيقه، وإياك من حسابات لا علاقة لها بشيء في دينك. (**ويأتي النبي وليس معه أحد**).

• من فقهك وكمال عقلك أن تدرك عقبات طريقك، وأنَّ هناك معرضين لا يمكن إقناعهم بشيء، فدعهم وأمرهم إلى الله تعالى ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾.

• لو قيل لك من مسؤول ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ لما وجد النوم إلى عينك طريقاً، فكيف والمتوعد الله ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾.

• ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ دعوة لأن تستعد وتبلغ جهدك، وتبذل كل ما تملك من أجل بلوغك أمانيك في النهاية.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي
ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ
﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ
﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا
الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ
﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا
تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾
وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا
﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا
﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ
الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ
﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾.

• هذا ميلاد الفجر عقب الظلام، وميلاد الفأل والأمل بعد زمان المحن والاضطهاد، وميلاد الفرح عقب حلول الآلام والأحزان. رسالة إلى كل مكلوم، أو مسجون، أو محزون، ومن يعيش ضائقة أو كرباً أو ألماً: سيأتي موعد الفجر وإن طال زمان الليل ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾.

• من مباهج الفجر البركة التي لو لم يكن فيها إلا دعاء النبي ﷺ لأمته بذلك: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**» لكان كافياً في الفرح به واستثماره وتسجيل تفوُّق في لحظاته ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾.

• هناك أوقات فاضلة في زمان كل إنسان تستدرك له ما فات من عمره وتقرب له صور الفوز والفلاح، وتستثمر له أيام زمانه بأوسع ما يكون ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ ومن تلك الأوقات فجر كل يوم، والعشر الأول من ذي الحجة، وقد قال فيها ﷺ «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ**» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**».

• عادة التاريخ وسنته المستقرة أن الله تعالى يمهل كل معارض لمنهجه أيّاً كان؛ فرداً أو مجتمعاً أو أمة، ثم إذا أخذه لم يفلته، وكانت في النهاية عاقبته عظة للمتدبرين ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥﴾.

• سنة الله تعالى التي لا تتخلَّف أنه إذا بلغ الطغيان مبلغه أخذ الله تعالى صانعيه أفراداً أو جماعات ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى

ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ لمَّا بلغوا غايتهم في الفساد حلَّ بهم ذلك العذاب.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ في أي زمان، وفي أي مكان، حين تتكرر صور الفساد تتكرر صور النكال والعقاب.

• كل صور الفساد التي تحدث في الواقع إنما تستمد فسادها من تلك الأمراض التي أصابت تلك الأمم الهالكة (القوة، والسلطان، والمال). وعادة الله تعالى أن من سار على ذات الطريق لقي ذات النهايات، نعوذ بالله تعالى من الخذلان ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾.

• وما تصنع الحضارة العارية من قيم الإسلام بقومها! ألم يخلق مثلها في البلاد حضارة وعمراناً وليس قيماً ومثلاً وديناً، فما أغنت عنهم شيئاً ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾﴾.

• مسافة طويلة ما بين بداية الطغيان وكثرته في زمان هؤلاء إلى نهايته، ثم حلَّ وعيد الله تعالى وجاء في ساعته ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾.

• في مرات كثيرة لا تجدي العبر من قلوب أصحابها حتى يحل بها عذاب الله تعالى ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ لكل طاغية أيًّا كان فرداً أو جماعة، وفي أي مساحة من الأرض، وفي أي زمان. كم من سادر في الغي وهو لا يدري! وكم من موعود بهذه النهايات وهو في الغفلات!

• ما أسوأ أدب الإنسان مع ربه تعالى! يكرمه وينعم عليه ويلبسه صنوف النعم، ثم يقول متباهياً: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥﴾ لا على سبيل الشكر والمنة والاعتراف، وإنما على سبيل الاستكبار والإعجاب: إنما أعطاني الله تعالى لأنني حقيق بها، ويبتليه الله تعالى بقلة الرزق فيقول معترضاً: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦﴾.

• من أسوأ مشكلات الإنسان فساد التصورات! حين يكون العطاء والمنع دليلاً على الإكرام والمهانة، فإن ذلك من فساد التصوُّر، وليس في كتاب الله تعالى أو سنته أن ذلك دليل على كرامة أو سوء، وإنما هو ابتلاء يبتلي الله تعالى به أصحابه ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦﴾.

• من أكثر الرزايا في حياة إنسان أن يكرمه الله تعالى وينعم عليه ويمد له في السراء، ويقدِّر عليه في رزقه، ويغفل أن هذا ابتلاء واختبار ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦﴾ الأصل أن كل نعمة يهبها الله

تعالى لإنسان إنما هي ابتلاء واختبار، وعلى العاقل أن يستقبلها بالشكر والعرفان، وأن يقوم بحقها من البـذل والعطاء، وأن يوظفها في دين الله تعالى ويمد بها في منهجه ورسالته.

• قيم التكافل والتناصـر من أعظم القيم في واقـع مجتمع أو أمة ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ دين الله تعالى ليس تلك العبادة التي يؤديها في المسـجد مفصولة عن معانيها وآثارها التي هي من أعظم مقاصدها.

• قيمة الإنسان ليست بكثرة ما في يده من مال، وإنما بقدر توظيفه لذلك المال في سـبيل الله تعالى، وتوظيف منهجه ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾.

• إذا لم تجد ما تدفعه لسد حاجة هؤلاء المساكين، فلا يفتك دعوة الموسـرين وأصحاب الأموال إلى إعانتهم وسـد حاجتهم ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ فإن ذلك وسعك وطاقتك، ولا يكلف الله تعالى نفساً إلا وسعها.

• كثيرون مخفقون في التخلي عن هذه الحقيقة ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ وقلـةٌ أولئك الذيـن أغاثوا منهـا عالماً محتاجـاً، وأحالوا الصحاري إلى ربيع من الحياة.

• إذا أردت أن تسقط قيمة من نفس إنسان فانصب له مآلها، وأَبِنْ له عن نهاياتها، وأَرِهِ أين موقعها من الآخرة في أيام الجزاء والحساب، ترى ذلك في ختام السـورة، وهي تنقل الإنسـان من بيـان طبيعته في أكله

للميراث، وتعلقه بالمال إلى عرض صور الآخرة، وما يبقى فيها وما يزول ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

• طول الأمل من أعظم الأمراض التي تطارد الإنسان حتى تلقيه في سراب الأماني ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

• يسافرون ويكتبون ويصورون ويضحكون وهم سادرون عن الحقائق الكبرى، وغداً يتمنى الواحد من هؤلاء أن لو طوت الذكرى موعدها ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

• إذا تعلقت نفسك بالدنيا، وأقبلت على شهواتها، وقعدت بك طالبةً لتلك الملذات، فكُرَّ عليها بسوط الذكرى ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

• ما حياتك التي يزداد عليها أسفك في ذلك اليوم ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ ليست هذه التي نعبث فيها، وإنما تلك التي يجري فيها حساب الحسنات والسيئات، وخفة الموازين وثقلها.

• تصوَّر باكياً يردد في عرصات القيامة ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ وشاكياً متأسفاً في مساحاته ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ ونادماً بعد فوات الأوان وضياع زمانه ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾.

• من كمال رحمة الله تعالى أنه لم يُبق حجة لأحد من العالمين، حتى أماني المفلسين عَرَضَها قبل أوانها ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾.

• إذا زرت قبور حيِّك أو مدينتك، أو شاركت في جنازة قريب، فتذكَّر أنَّ كثيراً من هؤلاء الذين تراهم في المقبرة لا يمكنهم استدراك هذه الأمنية ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾.

• نافذة على الحسرات ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾ هل رأيت موثقاً معذباً!! بعض مشاهد ذلك اليوم في حياة المفرطين والمعرضين.

• من هنا تبدأ قصة الحياة الكبرى ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾.

• إلى المتأسفين والباكين والمحزونين على وداع الصالحين من الدنيا: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ إنما قدموا على الأفراح.

• كل مسؤولياتك وترقياتك وشهاداتك العلمية، وأيام أفراحك لا تعدل شيئاً أمام هذه اللحظة المبهجة في عمر إنسان ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ البَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾.

• مكانة مكة وشرفها، ترى ذلك في قسم الله تعالى بها، ولا يقسم ربك إلا بعظيم ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ وما أنت ماكث اليوم في بقعة من الأرض أكثر بركة منها وهي قبلة المسلمين،

والصلاة فيها بمئة ألف صلاة، وفيها بيت الله تعالى الذي جعله الله تعالى مباركاً وهدى للعالمين ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ وأنت أفقه بما لهذا المعنى من واجبات ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]!

• مكانة رسول الله ﷺ عند ربه تعالى. ترى ذلك في هذا القسم بساعة حلوله في مكة، وإنَّ أمة تعي هذا الشرف الكبير حقيقة بأن تتمثل سيرته، وتلزم منهجه، وتقوم على دعوته ما بقيت الدنيا ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾.

• ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ هذه هي الحقيقة التي يجب أن يفقهها كل إنسان، كلٌّ منا يغدو ويجهد ويتعب وينصب لا فرق في ذلك، الفرق الكبير في النهايات التي يصنعها ذلك الكدح العريض. هذا يكدح للذَّات الحياة وشهوات النفوس، وذاك يكدح في سبيل الله تعالى، ومن أجل رضاه، وفي توسيع نهجه، ويعيش لهذا المعنى ما بقيت الحياة.

• الكبد والمشقة والعنت جزء من طبيعة الدنيا، وفهم هذا المعنى مفضٍ إلى الرضا بكل ما يعرض للإنسان فيها، والطمأنينة بقضاء الله تعالى وقدره مهما كان العارض في حياة إنسان ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾.

• هذا المعنى ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ يعلمنا أن النجاح لا يأتي عارضاً بنفسه في الطريق، وأنَّ ثمة عقبات تقف دون تلك الأماني، وتحتاج إلى شيء من العناء.

• في مرات كثيرة تكون النعم أوسع الطرق إلى الشقاء ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أعطاه الله تعالى مالاً وذهب يردد مفاخراً ومتكبراً وطاغياً ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أنفقت ودفعت وسافرت وصنعت، وكلها في غير طريق.

• رقابة الله تعالى تجري على كل إنسان وفي كل حال ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ وكم من ظنٍّ في غير محله، وكم من أوهام أركست أصحابها في الضلال!

• يسهرون، ويتعبون، ويجهدون، ويعبثون بالقيم، ويظنون أنه لا يراهم في الواقع أحد ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾.

• يختارون وقت الظلام، ويخططون للفساد، ويكتبون، ويجتمعون، ويتشاورون، وتمضي أوقاتهم في غير هدى، ونسوا أكثر الحقائق إلحاحاً ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾.

• أغلق بابه، وأطفأ سراجه، واستقبل شاشة جواله ظناً أنه لا طارق في ساعة ظلام، ونسي أن الله تعالى يرقبه، ويرصد عليه كل شيء ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾.

• كم من لحظة ظلام قام فيها هذا المعنى يصيح بأعلى صوته ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ وكم من ظنٍّ غدر بصاحبه، وأودى به في مهاوي الردى ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾.

• كم لله تعالى من نعم على الإنسان لو فقه! ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ أعطاه بصراً وهداه للطريق، فأبى إلا قصة العميان.

• كل نعمة لا تهدي صاحبها للنعيم لا قيمة لها في واقعه ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ وما تصنع بنعم تستكثر عليك من حجج الله تعالى في أيام الحسرات.

• من علامة شقائك أن الله تعالى يهبك نعماً، ولا تدلك على الخيرات ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾.

• كم مرة تكلم لغير الله تعالى، ولغير الحق، وخاض في الحرمات، وعارض منهج الله تعالى، وفاته أن ذلك نكران لنعم الله تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ وقد قال ابن القيم رحمه الله: «وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان...، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات». اهـ

• ليس لإنسان عذر في الاحتجاج بالقدر على معصية الله تعالى، فإنَّ الحجة قد قامت عليه بأصل فطرته وهدايته ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ والقدر يُحتج به في المصائب لا في المعائب.

• ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ دعوة للنهوض، واستقبال عوارض الطريق بالبذل والعطاء، واستنفاد نعم الله تعالى في الخيرات، ودفع ما يمكن أن يحول بينك وبين تلك النهايات ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾.

• التكاتف والتناصر والتعاضد سمات المجتمعات الناهضة ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ وإذا تخلَّف هذا المعنى عن مجتمع، فقد تخلفت عنه مباهج الحياة.

• تشوُّف الشارع إلى الحرية، وحرصه عليها؛ إذ بدأ بها، وجعلها أول خطوة في الطريق إلى اقتحام العقبات، وإعتاق الرقاب كبير في الإسلام، ومثله فك الأسرى، وإعانتهم، والقيام بشؤونهم ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾.

• التواصي بالحق والحض عليه والتناصر من أجله من أعظم ركائز النجاح في حياة الأمم والمجتمعات ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ والوصية أكثر الطرق لإشاعة فضائل الخير بين الناس وجعل المعروف باسطاً في حياة العالمين.

• الإيمان حركة ناهضة في واقع صاحبه، وليس ذلك الصلاح البارد الذي لا يجاوز حدود مسجده وبيته ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ والتواصي بعض مظاهر هذه الحركة وأثر من آثار ذلك الإيمان.

• الحضارة الكبرى حضارة الإسلام، وكل حضارة لا تأتي من بابه ولا تنفذ للعالمين من طريقه فهي بوار ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥ ﴾.

• فلاحك معقود على تعبك وجهدك وركضك في الحياة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ ﴾.

• الزكاء الذي يصنع لك مستقبلك وليد التربية، وثمرة من ثمراتها، ومن عني بنفسه وحدد مشروعه وفكرته وكتب أهدافه ثم أقبل إليها راغباً بلغها، وصار زاكياً في الدارين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ ﴾.

• قلَّ أن ترى صاحب توفيق إلا وهو على صلة بربه يستلهم من ذلك المعنى مدارج الكمال. وقلَّ أن ترى مخذولاً إلا وقد حيل بينه وبين ذلك الطريق ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ وقد قال ابن القيم رحمه الله وهو يتكلم عن سيد الأعمال لدى كل إنسان: «ومنهم جامع المنفذ، السالك إلى الله تعالى في كل واد، الواصل إليه من كل طريق، فهو من جعل وظائف عبوديته قبْلة قلبه، ونصب عينه، يؤمها أين كانت، ويسير معها حيث سارت، قد ضرب مع كل فريق بسهم، فأين كانت العبودية وجدته هناك، إن كان علم وجدته مع أهله، أو جهاد وجدته في صف المجاهدين، أو صلاة وجدته في القانتين، أو ذكر وجدته في الذاكرين، أو إحسان ونفع وجدته في زمرة المحسنين، أو محبة ومراقبة وإنابة إلى الله وجدته في زمرة المحبين المنيبين، يدين بدين العبودية أنى استقلت ركائبها، ويتوجه إليها حيث استقرت مضاربها». اهـ.

• لم تفته صلاة الجماعة من أشهر، ولم يتخلَّف عن صيام الاثنين والخميس، وعلى علاقة متينة بكتاب الله تعالى، ويُبهج واقعه بالصدقة والإحسان، وله برنامج أسبوعي مع رحمه وأقاربه، وله خبايا بينه وبين ربه تعالى، ولا يمل من ذكر الله تعالى، ويمد في آثار الخير في كل مكان. هذه قصة التزكية التي يرقى بها ومن خلالها الإنسان ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾.

• المعصية أوسع طريق إلى الخذلان ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ وقد قال ابن القيم رحمه الله: «ومن آثار المعاصي أن المعصية تورث الذل ولا بد،

وكان من دعاء السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك، وقال الحسن رحمه الله: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لا يفارقهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه». اهـ.

• إخفاقك، وتعسر أمورك، وتعثُّر مشاريعك، ومشكلات بيتك وعملك كلها فرع عن ما بينك وبين الله تعالى من سوء ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾.

• الفوز والفلاح والنصر، والضلال والخسارة كلاهما من صنع الإنسان لنفسه، وأثر من واقعه ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ وليس الإنسان مجبوراً على عمل، وإنما هو الذي يختار الطريق.

• أصل الملكات منحة ربانية، وتفجير براكينها، وفتح مساربها، وتوسيع طاقاتها جهد كل إنسان ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾.

• لا تقوم البذرة بنفسها، ولا تستوثق من الواقع بمفردها، هي كغيرها تحتاج إلى سقاء ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾.

• للنفوس طغيان يحملها على البغي والعدوان ما لم يتعاهدها صاحبها بوعي وتفكير ويزكيها بالعمل الصالح، وما من نفس عارضت منهج الله تعالى ووقفت دون الوحي إلا بداعٍ من ذلك الطغيان ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾.

• الطغيان شيء زائد عن الحد، إذا وجدته في نفسك، ورأيته في واقعك فيمِّم وجهك إليه مصلحاً ومرتباً وموازناً حتى تكبح شهواته في بداية الطريق ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾.

• عظم أثر خلق المبادرة في واقع إنسان! ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ هذا قدَّار بن سالف يبعث القرآن قصة فجوره، ويذكِّر بها؛ لأنه هو الذي بدأ قصة قتل الناقة.

• كم هم الذين بدؤوا قصة الفساد، ورتبوا لها، وتولوا شأنها، وصنعوا لها كل شيء، وفي النهاية تجري عليهم السيئات ما بقيت الدنيا ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ ولأن تأتي ذيلاً في فضيلة أربح لك ألف مرة من أن تأتي رأساً في سوء!

• من فقهك وكمال عقلك ألا تشابه هذا المشؤوم في قرار من حياتك أيَّاً كانت الدواعي إلى ذلك ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾.

• مؤسف أن يتحمَّل هذا الشقي أعباء مبادرة السوء، وتجري أحداث السوء عليه في الدارين، ولا يحمل مسلم مصلح هموم أمَّته في توسيع أثر هذا المعنى في واقعه.

• الذي دفع بمشاريع الباطل اليوم، وجعلها تأخذ حيزاً من واقع الأمة وجود أفراد ضحُّوا من أجلها، وعرَّضوا أنفسهم للخطر، وأشعلوا فتيلاً من سوء في واقعٍ باردٍ من المصلحين ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾.

• اقترح درساً في مصلى المدرسة، فبقيت هذه المساحة عشرين عاماً مركزاً للنور، وضياءً للظلام. وكتب رسالة ينهى عن منكر من المنكرات فتوقف المنكر من تلك الليلة، وتوجه لفتح مؤسسة، فكانت فواتح برٍّ ما زالت تجري عليه بالحسنات، ورسم معالم هدى في مقابلة معالم ذلك المشؤوم ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾.

• ألم تلد الأمة بعد من يقاوم هذه الألعاب الإلكترونية بألعاب تحيي القيم وتربي على الفضيلة، وتسد فراغاً مؤثراً في واقع تلك الأجيال.! أما في الأمة كاتب حاذق يتولى شؤون الفتيات ويغريهن بمشاريع تسد مساحتهن، ويأتين منها على مشاركة أمتهن من أوسع نطاق، ويعارض فكرة ذلك المشؤوم يوماً من الدهر! ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾.

• ليس بالضرورة أن تكون المبادرة في مثل هذه القضايا الكبار، يكفي الأمة أن تتحرك في مساحتك، وتحيي واقعك، وتمد في أثرك من خلال قدراتك ومهاراتك وإمكاناتك في مقابل هذا المشؤوم الذي صارت النهاية على يديه ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾.

• لا تحتقر رسالة، أو جهداً، أو مشاركة في أي مجال؛ فالأفكار الكبيرة والمشاريع الضخمة كانت لا شيء في أول مبادراتها، وقتل الناقة كان خواتيم مسرحية من مسرحيات الباطل وفصولٍ طويلةٍ جداً في الترتيب والإعداد ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾.

• يأسرني الصحابي الجليل ثابت بن أقرم رضي الله تعالى عنه يوم مؤتة حين رأى راية المسلمين ساقطة في أرض المعركة قام يتناولها ويجمع عليها المسلمين دون أن ينتظر أمراً أو تكليفاً من الآخرين، وجمع بيضة المسلمين، وبنى لهم شأناً في تلك الحرب بعد أن أوشكوا على الضياع.

• أقبح ما ترى في واقعك ذاك الذي يعترض، ويقترح، ويحلل، ويبين الأخطاء، وهو لم يبرح سريره، فقط يوزِّع الأخطاء على الآخرين، ويحاكمها دون أن يتقدم بخطوة مبادرة في الإصلاح، وثمة أناس

لا تعرف إلا العمل حتى لو كان والعياذ بالله ضد دين الله تعالى ومنهج الحياة ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾.

• إذا رأيت زحاماً على الأسِـرَّة، وقعوداً عـن الفضيلة، وتخلفاً عن موارد التوفيق، فصح في القوم قائلاً: أدرك الشقيُّ دوره، وقام يسهم في توسيع مساحته أَمَا لكم في الخير راية.! ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾.

• من أسـوأ ما تراه في واقعك حين يتكاتـف مجتمع أو حي على إشـاعة المنكرات، ويدفعـون بالإصلاح جانبـاً ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾ كذبـوا رسول الله ﷺ وعقروا الناقة، ولا ناصح في القوم، فكانت عقبى السوء.

• رأيتهم يتقاسـمون الرذيلة، أحدهم بماله، وآخـر بجاهه، وثالث بتنسيقه، ورابع بسيارته، وخامس وسـادس، وفي النهاية كوَّنوا مجتمع الرذيلة ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١﴾.

• إنَّ الله تعالى يمهل ويمد للإنسان إلى أبعد ما يمكن، فإذا لم يرعوِ الإنسان عن الغي تولاه بالعقاب، وإذا عاقب سبحانه عاقب معاقبة جبار عظيم! ولفظ (الدمدمة)، (والتسـوية) في السـورة يوحـي بصور من العذاب لا يتصورها الإنسان ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾.

❁ ❁ ❁

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

• ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾ طال ليله وامتد زمانه ثم عاد للتجلي، وأنت كذلك يمكنك أن تتجلى مهما طال ظلام ليلك، وأسنت أحداثك، وقلت فاعليتك، فكما أن لظلمة الليل حد، فكذلك لظلمة الجهل والضلال والقعود والكسل والتواني حد.

• الأصل في النهـار أنه مبدِّد للظلام، وهو ظـرف للحركة والعمل والإنجاز، وكذلـك الوحي في مقابل ظـلام الجهل والكفر والشـرك والفسـوق. وإذا صدق أصحابه في حمله وبلاغه، والعمل به والتضحية من أجله أتى على كل شيء في واقع الحياة ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾.

• ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝١﴾ رسالة في أنَّ الاختلاف بينكم ليس في الصور والمسؤوليات والوظائف والأموال والمهارات والإمكانات بل في العمل فحسب.

• ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝١﴾ مختلف في أصل نيته وإخلاص صاحبه، وفي نضج فكرته، وفي قوته وأثره.

• ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝١﴾ في زمانه ومكانـه ورعايته للأولويات وتخلفه عنها، وفي عنايته بالمقاصد وبعده عنها.

• ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝١﴾ فـي كل شـيء، ولـن تعرفوا هـذه الحقيقة الضخمة إلا حين تُرَدُّون إلى الله تعالى، ويوزن ذلك السـعي، وترون به ومن خلاله عواقب النجاح والفوز والفلاح، وعواقب الفشل والإخفاق.

• ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝١﴾ لهـذا المعنى دخل أبو بكـر الصديق رضي الله تعالى عنه من أبواب الجنة الثمانية كلها يوم القيامة، وبلال رضي الله تعالى عنه مشى في الجنة، وهو ما زال في الدنيا، وكبار قريش حطب لنار جهنم.

• في معنى السـعي ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝١﴾ إشـارة إلى طبيعـة الحياة وصعوبتها، وأنهـا أحوج ما تكون إلى بذل جهد عقلي وجسـدي كبير

حتى يصل الإنسان إلى أهدافه وأحلامه، وهذا تراه في كل شيء، ليس في أحلام الآخرة وأهداف الإنسان الكبرى فحسب، بل حتى في حياة الإنسان العامة في بيته، وعمله، ووظيفته.

• نجاح كل إنسان وقف على الخطوة الأولى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ التيسير لليسرى هنا نتيجة لذلك العزم الجاد في الطريق، وكم من حلم موقوف على خطى البدايات!

• لا حد لأثر الخطوة الأولى في حياة صاحبها ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ اليسرى في قلبه، وفي زوجه، وبيته، وذريته، وفي عمله، وماله، وكل شيء من حياته.

• إخفاق كل إنسان موقوف على الخطوة الأولى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

• لا حد لسوء النهايات التي تحملها الخطوة الأولى لصاحبها ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ العسرى في قلبه، وفي زوجه، وبيته، وذريته، وفي عمله، وماله، وكل شيء من حياته.

• العطاء والبخل خلقان متضادان، الأول يجلب خيرات السماء، والآخر يصنع كل سوء ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

• على قدر عطائك ينمو مالك، وجاهك، وعلمك، وتزداد بركتك، وعلى قدر بخلك ينقص كل شيء حتى تعود في النهاية صحراء من كل

نعيم ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

• هذا طالب علم يفتي، ويدرِّس، ويكتب، ويؤلِّف، ويسعى بالخير في العالمين في كل لقاء، وآخر يتسنَّم مراكز الكبار، ولا يعرف له الناس أثراً، ولا تشعر أن له دوراً، محبوس في زاوية ضيقة، لا يُعرف بعلم، ولا يُؤلَفُ في طريق، فكذلك العطاء والبخل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

• وذاك صاحب جاه منَّ الله تعالى عليه بحسن خلق، فأقبل يصلح شأن المختلفين، ويجمع فراق زوجين، ويؤلِّف بين متهاجرين، ويبذل في ساعات يومه ما يحمي به بيضة الاجتماع، ويقوم حارساً في الناس عن طرقات الأباليس، هذا هو العطاء ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾.

• وثالث مَنَّ الله تعالى عليه بالمال، فسلطه على هلكته في الحق، ورابع تجري شعاب حساباته من المال، وهو لا يحسن إخراج زكاته الواجبة، فكيف يجود به على جوعى الطرقات! ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

• وخامس يحسن الجوار، ويدرك فضائله، ويقوم بواجباته، ويصل رحمه، ويبر والديه، ويأتي على كثير من الخيرات، وسادس لا يحسن

من ذلك شـــيئاً ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

• وآخرون جعلهم الله تعالى منارات للحـــق والخير والهدى، ومثلهم في المقابل من لم يفتح لهم طريق توفيق. وهـــذه الأضداد المذكورة إنما هي نتائج لفضيلة العطاء ورذيلة البخل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

• أهمية الأســـباب، فإنَّ الله تعالى جعل هذه الدنيا وســـيلة لغايات الآخرة، وجعل لهذه الوســـيلة ســـبباً يبقيها حية، وهو خلـــق الزوجين والتناسل وإعمار الأرض، وجعل لهذا السبب أسباباً أخرى من الشهوات التي تجعلها حية في قلوبهم إلى يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

• الدين كله يدور على ثلاث قواعد: (فعل المأمور، وترك المحظور، وتصديق الخبر) قال ابن القيم رحمه الله: ولمـــا كان الدين يدور على ثلاث قواعد: فعل المأمور، وترك المحظور، وتصديق الخبر فقد تضمنت هذه الكلمات مراتب الدين أجمعها، فالإعطاء فعـــل المأمور، والتقوى ترك المحظور، والتصديق بالحســـنى تصديق الخبر، فانتظم ذلك الدين كله، وأكمل الناس من كملت له هذه القوى الثلاث، ودخول النقص بحسب نقصانها أو بعضها، فمن الناس من يكون قوة إعطائه وبذله أتم من قوة انكفائه وتركه، فقـــوة الترك فيه أضعف من قوة الإعطـــاء والمنع، ومن

الناس من يكـــون فيه قوة التصديق أتم من قـــوة الإعطاء والمنع، فقوته العلمية الشـــعورية أتـــم من قوتـــه الإرادية، وبالعكـــس فيدخل النقص بحسب ما نقص من قوة هذه القوى الثلاث، ويفوته من التيسير لليسرى بحسب ما فاته منها، ومن كملت له هذه القوى يُسِّر لكل يسرى». اهـ.

• النعم إذا لم تجرِ في فلك دين الله تعالى ومنهجه وإلا كانت وبالاً على صاحبها ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

• هدايتك وقف علـــى جهدك وتعبك وإصـــرارك، وكذلك الضلال ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ لقد تكفَّل الله تعالـــى بالهدى؛ فمن أقبل صادقاً يريد ما عند الله تعالى ناله وإلا فلا، وفي الصحيحيـــن: «**إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِـــبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْـــتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِذَا أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

• ســـوء مآل الأشـــقياء يوم القيامة وشدة عذابهم وســـوء خاتمتهم ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ وفي حديث رســـول الله ﷺ: «**نَارُكُمُ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَـــبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَـــارِ جَهَنَّمَ**»، قَالُوا: يَا رَسُـــولَ اللهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: «**إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً**».

• كان الصالحون وما يزالون يعتبرون كل خطـــأ مُقابل بهذا الوعيد ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ ولذا يتعففون قدر وســـعهم عن صغائر الذنوب، ويجهدون في مغالبة تلك الخطايا بالتوبة.

• عظيم أثر الإخلاص على صاحبه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾!

لقد تكفَّل الله تعالى بالنجاة لصاحبه من عذابه، وضمن له الفوز في النهايات.

• حين يكون المال وسيلة للغايات الكبرى في الحياة ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ درس في الوعي والتوفيق.

• من كمال دينك ووعيك وعلو نفسك أن تتعفَّف عن سؤال المخلوقين قدر وسعك، وألا يكون لأحد من الخلق عليك منَّة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وإذا احتجت ووجدت من يعينك ويقف معك وأسدى إليك معروفاً، فعليك أن تبادر برده وسداده، وهذه أخلاق الأنبياء، حتى إن نبينا ﷺ في حادثة الهجرة أخذ العون من صاحبه أبي بكر رضي الله عنه وكان يقول له: (بالمثل) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

• ما أكثر ما تجد أيدي الكبار باسطة على إخوانهم وأقاربهم، وجيرانهم، وكل من يتعرَّض لحاجة أو ظرف أو مصيبة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ هذا الثناء العاطر على أبي بكر رضي الله عنه لهذا المعنى الكبير.

• كلما صدق الإنسان في توكله على ربه، وتوجهه إليه، وإقباله عليه، وعمل بالأسباب الممكنة كفاه الله تعالى كل شيء ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

• ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ وعد جاء على تاريخ صناعة صاحبه في مواقف متعددة وأحداث متكررة لم يتطرَّق الرياء إليها في شيء بشهادة العليم الحكيم. يا الله ما أبهج آثار الإخلاص!

• ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ ليست رسالة من مسؤول، أو خبر في صحيفة، أو إعلان في قناة، كلا! وإنما وعد من الكبير المتعال.

• ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ وعد من الله تعالى لعبد من عبيده في الأرض. أرأيتم ما تصنع الولاية في حق إنسان.

• ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ ما زالت باسطة واقعها لكل من سار على الطريق، وجاء على المعاني ذاتها ولو بعد حين.

• ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ لو قيلت لك لكان من حقك ألا تنام أياماً، ويمكنك عناقها إن أردت مع الأيام.

• ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ يصنعها الصدق، والبذل، والعطاء، والتضحية، والإخلاص، ويأتي عليها موفورة كما يشاء.

• أرجو ألا تقف في منتصف الطريق مندهشاً من هذا الوعد، وقاصراً عن الوصول، تقدَّم، واصنع الخطوات ذاتها، وابذل في سبيلها كل ما يمكن، وقد تتكرر مراراً في حياتك إذا كانت لديك ذات الأحلام ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾.

• إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب، ما لأبي طالب ومحمد! هذا كافر لا يؤمن إلا بالجاهلية، وذاك عدو الجاهلية وصاحب الرسالة! من الذي جاء بخديجة صاحبة العقل والمال إلى محمد ﷺ صاحب الرسالة ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾.

• ما أكثر نعم الله تعالى على إنسان! وكم هي نعمه تعالى على صاحب هداية! وكم هي مباهجه على صاحب رسالة ومشروع! إن الإنسان أعجز من أن يأتي على نعمة واحدة، فكيف يأتي على فيض تلك النعم كلها! ما أحوج هذه النعم إلى شكر! وهو قيدها من الزوال، وسبيلها للدوام والاستمرار! وإذا رزق عاقل معرفة شكرها رزق كل خير وبر ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾.

• في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ وعد بالنصر والتمكين، فكأنه يقول: الذي آواك لحظات اليتم، وعني بك وقت الضلال، ورعاك وهذَّبك وأمدك بعونه وتوفيقه في تلك الحال لن يتركك وحدك، وسيعينك على طريقك حتى تصل فيه إلى الكمال، وقد كان.

• من كمال عقلك ووعيك ألا تنسى سالف دهرك والأيام الخوالي من عمرك، كم فيها من ذكرى تحتاج إلى إعادة! وكم فيها من بؤس يحتاج بعد النعيم إلى شكر! وكم فيها من مواقف ضعف وذلة تحتاج إلى وفاء، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا

﴿فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ تذكير ببداية الطريق، وتعظيم لمنَّة الله تعالى عليه، وتذكير بواجب ذلك من الشكر والعرفان.

• تعلَّم أن تهب للمحتاجين من الفقراء، والمساكين، واليتامى من وقتك ومشاعرك ومالك، وذلك من تعظيم منَّة الله تعالى عليك، ووفاء حقه، والقيام بواجبه ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

• يا أيها الدعاة والمصلحون وحُمَّال راية المشاريع! لينوا في أيدي إخوانكم، وتقربوا إليهم، وهبوهم من نعيم أخلاقكم، وادفعوا لهم مما فتح الله تعالى به عليكم، كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

• لم تقف العوائق حائلة يوماً ما في طريق صاحب المشروع، ذلك لأن مثل هؤلاء يؤمنون أن النجاح في تخطي كل الظروف الحائلة دون مشاريعهم وأهدافهم. وكم من عائق حوَّل همة صاحبه وأعاد له استلهام المجد من جديد.

إنَّ اليتم في حياة نبينا ﷺ لم يكن عذراً مع أنه من أشد العوائق في بيئات الجاهلية، وقد صنع منه ﷺ سلالم للنجاح. وكم من أعمى، ومشلول، ويتيم، ومريض كتبوا معالم من البناء قصُر عنها غيرهم ممن هم أكمل منهم جسداً وأقل منهم إرادة وعملاً وطموحاً ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

• رعاية حقوق الآخرين جزء من بناء هذه الشريعة الكلي، فلا يمكن أن تجد فرداً إلا وقد رعت الشريعة حقه، وعنيت به، واستكملت سبل

حفظه، وفي قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ إثباتٌ لهذا المعنى.

• التأكيد على بعض المعاني، أو الحقوق الخاصة، أو الطبقات الفقيرة والمحتاجة، والعناية بها أكثر من غيرها يورثها تجذراً في حياة الناس، ويجعلها في بؤرة الاهتمام، خاصة تلك القضايا والحقوق التي تكون مدعاة للغفلة عنها أو عدم الاهتمام بها ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

• التحدث عن نعم الله تعالى التي منَّ الله تعالى بها عليك من شكر الله تعالى، سواء كان هذا التحدث بها على ظاهره بذكر ما أنعم الله تعالى به عليه من فضل وهداية إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، أو بالقيام بحق الله تعالى، والدعوة إلى دينه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

• تحدَّث شاكراً لنعم الله تعالى عليك، دالاً على الطريق الموصل إليها، مبتهجاً بتفضله عليك، فذلك من عون الناس على معرفة ربهم، والقيام بحقه وشكره ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾.

• إياك أن تتحدَّث عجباً وغروراً بهذه النعم، وأنها من أثر جهدك وعزيمتك وقوتك، فهذا تلبس بأخلاق الشياطين والظالمين، وما قول الأول: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص: ٧٦] وقول الآخر: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] بمنأى عن فكرك وعقلك وعلمك.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾.

• ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ منَّة من الله تعالى على رسول الله ﷺ تأتي في مواجهة المعرضين عن الدعوة. ليس أضر على صاحب المشروع من اليأس في الطريق، وهو أقعد به عن كل مصلحة، وأجبن به عن كل مواجهة، فإذا ما شرح الله تعالى صدرك منحك التفاؤل وأمدك بالتوفيق، وأعانك على مواجهة عوائق الطريق.

• ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ أصل هذا الانشراح في قلب نبينا ﷺ منَّة من الله تعالى عليه، ولأتباعه ﷺ من ذلك المعنى على قدر سعيهم في ذلك الطريق. وما حاجة الناس اليوم إلى شيء حاجتهم لهذا المعنى الكبير! كثيرون يرزحون في الظلام، ويشتكون من الضيق، ويبكون من

الأسى؛ لأنهم لم يجدوا هذه النعمة التي منَّ الله تعالى بها على نبيه ﷺ. وكثيرون تكاد تعانق رؤوسهم السماء، ويكاد الواحد منهم يختال من الفرح، ويجد نعيماً يخالج قلبه وروحه، وسكينة تعمر فؤاده، وكل ذلك أثر من هذا المعنى الكبير.

• انشراح الصدر وضيقه نتائج لما نصنعه في حياتنا من خير وسوء، وما رأيت إنساناً يتقلَّب في النعيم إلا لصلاح ما بينه وبين الله تعالى، وما رأيت من يتقلب في الشقاء إلا بسوء ما بينه وبين الله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾.

• لن يستطيع إنسان أن يبلغ هذا المعنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ إلا من خلال دين الله تعالى، ولو حاول الإنسان بكل ما يملك أن يفتح ثقب إبرة نحو هذا الطريق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

• ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ صور هذه المنَّة على رسوله ﷺ كثيرة؛ كصبره ﷺ على أتباعه، ورعايتهم، وتربيتهم، وصبره ﷺ على المخالفين، وثقته ﷺ بوعد الله تعالى، وشدة فأله وأمله، واتساع صدره لكل صور الخلاف، ومداومته على العمل، والدعوة، والطاعة، وعدم استعجال النتائج وقطف الثمار، ونحو ذلك مما أفاض الله تعالى بها على نبيه ﷺ، وهي معان حقيقة بالقراءة والإمعان في سيرته حتى تنتظم في سيرة أتباعه من بعده إلى يوم الدين.

• ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ استفهام تقريري زيادة في التنبيه والتقرير بهذه النعمة التي امتن الله تعالى بها على نبيه ﷺ لاستحضارها والقيام

بشكرها، وكم من ممنون لله تعالى بفيض نعمه يحتاج إلى استحضار هذه النعم والقيام بواجبها! كمن شرح الله صدره للطريق، وحسن استقامته على المنهج، وفتح الله تعالى له في مشروع، وصلحت زوجه وذريته، واستقام بيته على الهدى، وتوسع ماله وفسح به الخيرات، وجعله الله تعالى مفتاحاً للفضيلة، فهو أحق باستحضار هذه النعم والقيام بحقها.

• للذنوب أثقال، وما يشعر بهذا إلا صاحب قلب حي! وما لجرح بميت إيلام! وكم من ثقيل عن طاعة الله تعالى يحسب أن ذلك طبع وهي أثر ذنب! وإذا كان خلاف الأولى وصغائر الذنوب التي وقع فيها ﷺ كادت تنقض ظهره، فما بالك بالكبائر التي نخالطها كل يوم. وصدق ابن القيم حين قال: «وكيف يقطع مسافة السفر مثقل بالحمل على ظهره! وكيف ينهض إلى الله تعالى قلب قد أثقلته الأوزار!». اهـ.

• من أثقال الذنوب أنها تغم قلبك، وتضيِّق صدرك فلا تكاد تجد للحياة بهجة كأنما تتنفَّس من ثقب إبرة، ومن أثقالها أنها تقعد بك عن الخيرات، وتورث جسدك العجز، وتشعر بأثقال الدنيا كلها على ظهرك وقلبك ومشاعرك، ومن أثقالها أنك لا تكاد تخطو إلى فضيلة، ولا تمتد يدك إلى معروف، ولا تستطيع أن تحمل فكرة أو مشروعاً ينفعك في الدارين، وتبقى حسيراً قعيداً في بيتك لا تشارك في شيء.

• الأنبياء بشر من الخلق، وتقع منهم صغائر الذنوب، وإن كانوا في الأصل معصومين من الكبائر، وسفاسف الأخلاق. والذنوب التي يقعون فيها

كترك الأولى، وفعل الشيء باجتهاد؛ كقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١، ٢] وكقصة الأسرى في بدر ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] ونحو ذلك. وإذا كان الكبار غير معصومين من ضعف النفوس، والخطيئة، فغيرهم من باب أولى وأحرى ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝﴾.

• الخطأ جبلة في كل إنسان، وإذا أورث ذلك الخطأ ذلاً في النفس، وشعوراً بالخطيئة، وصدقاً في الإقبال على الله تعالى كان أعود على صاحبه بالخير والغفران ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

• حتى الكبار يخطئون، وحاجتهم إلى الإعذار والإغضاء حينها أكبر من كل حاجة ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝﴾ فلا يقف خطؤك عثرة في طريق توبتك، ولا تأسرك أحزانه وأحداثه عن القيام لحظوظك في الدارين.

• رفع الذكر من أعظم منن الله تعالى على رسوله ﷺ، كثيرة هي مظاهر قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ في حياة نبينا ﷺ يكفي من ذلك هذا الأذان الذي يدوّي في الأرض كلها، ويعلي ذكره في العالمين.

• إذا أحب الله تعالى عبداً رفع ذكره وأعلى شأنه ووسع في أثره، وجعل قبولاً لكلامه ومشروعه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾.

• وما يضرك في الدنيا كلها إذا رضي الله تعالى عنك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ كم كان الساخطون على نبينا ﷺ تلك الحقبة من الزمن، وظل

ذكره يملأ الدنيا كلها. وإذا سخط الله تعالى عليك فما ينفعك من أثر المادحين شيء.

• كل عسر مصحوب بيسرين، ذلك لأن الله تعالى ذكر العسر معرَّفاً مرتين، فهو عسر واحد لا ثاني له، وذكر اليسر منكَّراً مرتين فهما يسران، فالعسر محفوف بيسرين، يسر قبله، ويسر بعده، ولن يغلب عسر يسرين. وهذه فواتح أمل لكل صادق في الطريق ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• من فألك أن يأخذ هذا المعنى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ حظه من قلبك، وأن تمضي في كل طريق وأنت موقن أن عاقبته إلى خير، وأن ما ينتظرك من فأل أعظم بكثير مما ينتظرك من سوء.

• إلى الذي تأخر زواجه، وأبطأت عليه وظيفته، وضاق عليه حاله، وكثرت ديونه: تفاءل، فعسرك محفوف بيسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• إلى المسجونين، والمعوقين، والمبعدين، والمحاصرين، وإلى كل صاحب حاجة طال انتظارها: تفاءلوا ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• رأيت بعيني جائعاً قد شبع، وظامئاً روي، ومخفقاً نجح، وضالاً اهتدى، ومديناً اتجر، وعقيماً كثر له الولد، فما لنا ولليأس! ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• حتى الأمراض المستعصية في زماننا شفي أصحابها وعادوا كأن لم يكن بهم مرض ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• لا أحصي المرات التي رأيت فيها الباكين من الآلام يضحكون بملء أفواههم فرحين مسرورين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• مهما بلغت ظروف واقعنا، وحال أمتنا، وفجائع زماننا ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• حتى لو استشهد الرجال، ورُمِّل النساء، وشرِّدت الأسر، وسجِّن الأولياء، وبلغ الباطل كل مبلغ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• كلما ولد اليأس في مكان نبتت معه في الوقت ذاته بذور الفرج والأمل والحياة ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

• الصلة بالله تعالى تورد صاحبها فأل الحياة، إذا دهمك اليأس، وقَلَّ المعين، فتوجَّه إلى ربك واسأله العون والتوفيق ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

• حين تتفرَّغ من شغلك ونصبك عُدْ إلى ربك تستلهم الحياة من جديد (من قال لك إن في الحياة فراغاً!) ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

• الدنيا دار عمل ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ ولا راحة للمؤمن إلا عند أول قدم يجوز بها باب الجنان.

• من جميل حســن الظن بربك تعالى إيكال أمورك إليه ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ وما يصنع لك الناس وقد فتح الله تعالى لك بابه وأذن لك بالولوج ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾.

* * *

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨ ﴾.

• أقسم الله تعالى بذكر أماكن الرسالات ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ بأرض المقدس، وهي محل رسوله عيسى عليه السلام ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ محل عبده ورسوله وكليمه موسى، وهو الجبل الذي كلمه عليه وناجاه هناك ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ مكة أرض خاتم الأنبياء محمد ﷺ. فتأمل عظمة هذا القسم، وانظر في جوابه لتعرف لِمَ صار بهذا المعنى الكبير؟!

• ترابط النبوات والرسالات فيما بينها، وعلاقة الأنبياء ببعضهم البعض، وامتداد الرسالة، وفي الحديث قال ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**». وهذا المعنى يؤكِّد صدق

الرسالات وأنها من عند الله تعالى، وأنَّ محمداً ﷺ خاتمها ونهاية مطافها في الأرض.

• ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ هذه هي القضية الكبرى التي أراد الله تعالى تأكيدها من خلال هذا القسم الكبير، ترى فيها إجلال الله تعالى للإنسان وتكريمه له، سواء في اتساق خلقه، أو في التمازج بين حاجات جسده ومشاعره وعواطفه، أو في هذا التوازن بين حاجاته، أو في الغايات التي خُلق من أجلها، ويكفيه شرفاً وعزاً أنه مقصد الرسالات السماوية كلها.

• من فقه هذا التكريم أن تقوم لله تعالى بأمره، وتعظِّم شعائره، وتجل مناهيه، وتأتي على كل ما يصنع لهذا التكريم معناه وواقعه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

• الإنسان بروحه لا بجسده، وبقلبه لا بجوارحه، وهذه الرسالات كلها جاءت تخاطب قلب الإنسان وروحه، وكم من صحيح قلب طاف في ملكوت الله تعالى! وكم من سقيم قلب أخلد إلى الأرض ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

• تحوُّل القوة إلى ضعف، والشباب إلى كبر، والحركة إلى قعود، والشهوة إلى فتور بعض ما يلقاه الإنسان في حياته الدنيا على أحد المعاني في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ وإذا كان كذلك فعلى العاقل أن يهب من صحته لمرضه، ومن شبابه لهرمه، ومن حياته لموته، ومن حركته لقعوده حتى يمضي يزيد في أثره في الدنيا،

وفي الحديث: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً**». وعلى المعنى الآخر رجوعه إلى الشرك والمعاصي، وسافل الأخلاق، ولا يقي من هذه المعاني الدنيا سوى الإيمان والعمل الصالح.

• ثمة غاية كبرى للخلق! فهذا الخلق البديع، وتلك الرسالة، وهذه الصلة بين الإنسان والرسالات كلها تدل على غايات كبرى، فكيف يكذِّب بها إنسان وهي أوضح ما تكون؟! ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ تساؤل يأتي بعد تقرير النعمة، وإقامة الحجة، ويُترك هكذا مفتوحاً دون جواب ليظل كذلك لكل قارئ لهذا القرآن إلى يوم الدين.

• ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ وقد اعتنى الله تعالى بخلقك، وبعث إليك رسله، وأنزل إليك كتبه، وما تركك حتى أقام عليك حججه، وأبان لك كل شيء.

• ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ وقد أراك الله تعالى من سير الأولين والآخرين، وما صنع لأوليائه، وما صنع في أعدائه.

• ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ وقد رحمك وغفر لك ذنبك، وأراك من قدرته وحكمته في خلقه ما يبين لك كل شيء.

• ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ دعوة لقراءة حكمة الله تعالى في خلقه تعالى وشرعه، ودعوة في الوقت ذاته لتقرير هذه القضية في عقل كل مكلف، وأن الله أحكم الحاكمين.

• كل قضية قررها الشرع فلحكمة أرادها الله ﷻ، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ ومن تأمل عرف ومن أقبل بقلبه أدرك تلك الأسرار.

• إذا ثبت التحليل والتحريم من طريق صحيح فمن أدب الإنسان مع ربه ألا يعارض ذلك بظنونه وآرائه، بل يجري في كل شؤونه على أمر التسليم ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾.

• ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ دعوة لفقه باب الأسماء والصفات والإيمان بها والتسليم بما تقتضيه، فإذا علم العبد حكمة الله تعالى فيما يخلق ويقدِّر في هذا الكون ازداد طمأنينةً واستسلاماً، وعلم أنَّ مقتضى هذه الحكمة ألا يأمر الله تعالى عباده بشيء ويحثهم عليه إلا لكمال أثره عليهم، ولا ينهاهم عن شيء ويحرمه عليهم إلا لكمال ضرره وأثره عليهم.

• ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ تذكير بنقص الإنسان وفقهه لمصالحه وإدراكه لما يضره أمام قدر الله تعالى وحكمته التي تجري في الكون، فكم من مكروه للإنسان يحمل في طياته خيراً ولو بعد حين! وكم من محبوب، فيه عطبه وحتفه، والله المستعان!

* * *

• من كمال عقلك ووعيك أن تجمع كل ما يتعلق بسيرة أبي بكر رضي الله تعالى عنه لترى ملامح هذه القدوة التي صنع بها كل شيء ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

• ولو أنك قلَّبت طرفك في سيرة نبيك ﷺ ووقفت على مواطن القدوة، واستلهمت دروسها المثيرة لكنت ذلك الأمل الذي يخطو في الأرض كما يشاء ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾.

• في الصحيحين من حديث جُنْدُبَ بْنِ سُفْيَانَ رضي الله عنه ، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثاً فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثاً؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

وفي لفظ لمسلم قال: أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

• امرأة يشغلها مشـروع الباطل، وتهنأ بإبطاء الوحي، وتعود تبارك تأخر هدايـا الرب عن رسـول الله، فمـا يصنع أهل الحـق لأفكارهم ومبادئهم ومشاريعهم في الحياة!

• (الضحى) النور الذي يأتي على كل ليل، (والوحي) الضوء الذي يأتي على كل ظلام! فكما أنَّ نور الضحى يقشع ظلام الليل من الكون، فكذلك الوحي يأتي على كل ظلام الجاهلية، وهذه السنَّة جارية في كل شـيء، فما حل ظـلام إلا صار إلى زوال، ولا عسـر إلى جـاء الفرج بالأفراح، ولا مصيبة إلا كانت العواقب أكبر بكثير من فواجع البدايات ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

• ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ ما تركك وما أبغضـك، وليس كل تأخير يحمل معه الألم، وكم من تأخير جاء حاملاً للأمل! (ما أرى شيطانك إلا تركك) مقولة امرأة شـامتة في عرض الطريق، و﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ قول ربك ومولاك يرد قولها، ويبعث مساحات الفأل في الحياة.

• الرد على الأقاويل الباطلـة، والحجج الواهية، والمقالات الكاذبة جزء من منهـج القرآن، وقد جاءت هذه السـورة كلهـا رداً على مقالة المشـركين لرسـول الله ﷺ في أنَّ ربه قلاه وتركه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ لكن يجب ألا تأخذ أكبر من حجمها، وألا ينشغل بها الإنسان عن البناء والتمكين لسـيرته ومنهجه، وإنما يأتي في بعض المواطن التي يورث التأخير فيها توسعاً للباطل، وتمدداً له.

• قد تتأخر نعم الله تعالى على الصادق لكنها تأتي في النهاية بكل شيء ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ وتأمل هذا الوعد الكبير ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ وإلى أي حد! ﴿فَتَرْضَىٰ﴾ لا حد له إلا رضاك.

• إذا رضي الله تعالى عنك فسيدهشك بعطاياه! وما بينك وبين هذا المعنى سوى ساحات العمل والصدق وحسن الصلة. لو أدركنا هذا المعنى وجهدنا في بنائه بوعي لاستقبلتنا عطاياه في عرض الطريق ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾.

• ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ وعد في زمن وحدته، وفقره، وظروفه البائسة، وعد من الذي يملك كل شيء، ويستطيع فعل كل شيء، وإذا أراد أمراً قال له: كن فيكون.

• كل الدنيا لا شيء أمام أعطيات الآخرة الكبرى ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ وفي حديث رسولك ﷺ «**وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**».

• ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ آخرتك خير لك من دنياك، وما فاتك هنا سوف يأتيك هناك. وآخر أمرك أفضل من أوله، وأيامك القادمة أعظم بكثير من أيامك السابقة. ماذا لو جرى هذا المعنى بشقيه في حياة إنسان!

• ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ رسالة ودٍّ في زمن الآلام والأحزان، سترضى لنفسك، ولأمتك، رضاً عاماً في زمنك أو مستقبل أيامك وأيام أمتك لا فرق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾.

• ﴿اقْرَأْ﴾ أول كلمة في كتاب الله تعالى، وأول حرف يقرع أذن النبي ﷺ، وأمتن كلمة في تاريخ إنسان! وما رأيت عاقلاً مدركاً لآثارها إلا وقد وهب لها من سنام وقته، ودفع لها من أولويات حياته ما يجعله كبيراً في الدارين ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾.

• كل مربٍّ إنما يؤتى من حظ الاستجابة على قدر حظ العلم من حياته! ما كان لتلك الأمة التي بُعث فيها محمد ﷺ لتقرأ قراءة معرفة وتطبيق إلا بعد قراءته وتطبيقه للوحي الذي جاءه في الغار. أيّاً كان المتربون في بيت، أو مدرسة، أو مجتمع، أو أمة لا يصغون في العادة بوعي إلا لمن له حظ من تلك الرسالة التي يحملها ويدعو إليها. وهذه سنة جارية في الأمم، والتاريخ شاهد ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾.

• ليس كل قراءة تبني حظ الإنسان من التأثير في الواقع، وليس كل كتاب قادر على أن يقود قارئه إلى تحقيق هذا المعنى في التاريخ، وإنما تلك معاني مبناها على الوحي كتاب وسنة فحسب. وعلى قدر علاقة الإنسان بوحي الله تعالى تأتي الأحداث الكبار في تاريخ أمة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾.

• كم هو أثر الوحي في حياة الإنسان! ولن تعرف هذا الأثر ومساحته في الواقع حتى تتعرَّف على مساحة الجاهلية في أفكار وعقول تلك الأمة التي نزلت عليها هذه السورة أول وهلة لترى كم هو الفرق بين إنسان الأمس في جاهليته، وإنسان اليوم في إسلامه وقيمه ومبادئه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾.

• كلما ضعف الوحي في حياة إنسان عاد إلى درك الجاهلية الأولى، وكلما زاد ارتباط الإنسان بالوحي رقى في مفاهيمه وأفكاره وأدواره حتى أصبح مثالاً صالحاً للبناء في واقعه ومساحته ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾.

• كم هي حاجة الإنسان إلى عبادة ربه تعالى! هذا النبي ﷺ وقبل أن يتلقَّى أي شيء من الوحي كان يشعر بشعث الجاهلية في قلبه، فاحتاج إلى أن يأوي إلى شيء يغيثه، وظلَّ يتردد على غار حراء بعيداً عن مظاهر الجاهلية وشعثها ليروي قلبه ويزكِّي نفسه، ويلقى المعنى العريض الذي تبحث عنه قلوب الأتقياء ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾.

• الغطَّة التي لقيها ﷺ في بداية الطريق مشعرة بأثر العلم وعظمته، وكلفته، ومشعرة كذلك بعظم الرسالة التي جاء بها اللقاء، وأثر الدعوة، وطول الطريق، وشُقة المشروع، والمشاريع الكبار يجب أن تأخذ حظها من النفوس أولاً حتى تستقبل أيامها القادمة، وتصبر على طول الطريق. وقد رأيت أن المشاريع التي ينتابها الضعف في العرض والتقديم لا تلقى من أصحابها القدرة المثلى على القيام بحقها على خلاف تلك المشاريع التي تلقى في بداية الطريق قدراً من الهم والاستعداد والمسؤولية. من الأصلح للمشاريع، والأنفع لأصحابها أن يدركوا أثر مشاريعهم من بداية الطريق، وحجمها في الواقع، وكلفتها الكبيرة، فإما أن يأخذوها بذات القدر من الهم وإلا يدعوها لغيرهم. وخير لكثير من المشاريع ألا تبدأ باردة، فإما أن تبدأ مشرقة وإلا تبقى حتى يأتي من يأخذها بحقها في قادم الأيام ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾.

• العلم رأس الدعوة، وجذرها، وذروة سنامها، ولن تقوم دعوة صحيحة مؤثرة إلا على جذر العلم وساقه. وقد تلقى النبي ﷺ هذه الرسالة في أول لقاء (اقرأ)، وأصحاب الدعوة من هذا المعنى مثلها

تماماً، وعلى قدر علم الداعية، ومعرفته بالواقع، وعلاقته بالوحي تكون آثاره ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾.

• الأصل أن يقوم ساق العلم على جذر الدين ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ وليس أخطر على الأمة من انفصال العلم عن الدين، وكل رقي لقيته البشرية في ماضيها أو حاضرها كان بفضل ذلك الترابط بين العلم والدين. إن العلم الذي يرعى حق الدين، ويقوم على بنائه ينفع الأمة، ويكتب عزها ومجدها، ويخلق لها فرصاً كبيرة، وحين ينفصل عن هذا المعنى يُحْدِثُ شيئاً مهولاً من الأخطار في واقعها.

• العلم منحة وتوفيق من الله تعالى ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ وإذا فتح الله تعالى قلبك لهذا المشروع، فقد فتحه على خير عظيم، وكم من صاحب قدرات ومواهب لم تنفعه مواهبه وقدراته في شيء. وهكذا كل إنسان هو أحوج ما يكون إلى لطف الله تعالى، وعونه، وتوفيقه، فإذا ما وفِّق للعلم، وهدي إليه، ويُسِّر له سبيله، وأُعين؛ فقد أفاض الله تعالى عليه من نعمه ما يستحق الشكر والامتنان.

• حاجة العبد إلى عون الله تعالى وتوفيقه أعظم من كل حاجة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ أي مستعيناً به، لا تعتدَّ بقوتك، وذكائك، وقدراتك، ومواهبك، فكم من مخذول في الطريق! توكل على الله تعالى، واستعن به، وسله من فيض نعمه ما يعينك به على مشروعك الكبير. ومن أدرك ضعفه، وفقره، وحاجته إلى ربه أحسن التوكل عليه، وصدق في الإقبال حتى يأتي ما يريد.

• إن تبعات العلم، والدعوة، والمشروع كبيرة في الواقع، وهي أحوج ما تكون إلى توفيق الله تعالى، وعلى الإنسان أن يحسن الوقوف بين يدي الله تعالى حتى يصل إلى مراده، وتتحقق له أحلام مشروعه في الدارين.

• منَّة الله تعالى على جنس الإنسان، فقد خصه الله تعالى بالعقل، وامتن عليه بالوحي، وكرَّمه بالرسالة، وجعله هادياً مهدياً. وهذا الاصطفاء الذي خص الله تعالى به الإنسان حريٌّ بالعمل به والإجلال له ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾.

• التدرُّج سنة من السنن الإلٰهية، وما من شيء في الدنيا كلها إلا وهو وفق هذا المعنى، وإذا كان الله تعالى لم يخلق الإنسان في مرحلة واحدة مع قدرته تعالى، وإنما جعله على مراحل حتى استوى خلقه، فكذلك كل بناء في الدنيا يبدأ صغيراً، ثم ما يزال يكبر مع مرور الأيام حتى يصبح كبيراً عظيماً في النهايات. إن في ذلك دعوة إلى إدراك هذه السُّنة ومفاهيمها، وسيظل كل مشروع في بداية أمره صغيراً لا قيمة له ثم يكبر مع العمل وتتابع الأيام حتى يشار إليه بالبنان، فلا تستعجل على أصل لم يكتمل، أو على خطو في بداية الطريق، أو على ثمرة لم تستو بعد.

• ضعف الإنسان؛ فهذا الخَلْق الكبير إنما أصله من نطفة وعلقة ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ وما أكثر نعم الله تعالى عليه، خلقه من تلك العلقة (الدم الجامد) ثم سواه حتى كمل، ثم علمه وأرشده حتى صار كبيراً صاحب رسالة. وكلما تأمل الإنسان في خلقه أدرك فيض نعم الله

تعالى عليه، وألطافه التي تكون في حياته وبين عينيه. وعلم أن ثمة واجبات مقابل تلك النعم تحتاج إلى عون وتوفيق.

• ليس من شيء كبير على الله تعالى، وما من نعمة يشتهيها الإنسان إلا وهي بتوفيق الله تعالى وكرمه أقرب ما تكون إليه، وكلما وثق الإنسان بربه، وتعلَّق به، وأقبل عليه أفاض الله تعالى عليه من الأسرار والمكارم ما لم يكن له على بال، وقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ تأكيد لهذا المعنى الكبير في كتاب الله تعالى.

• مكانة القلم ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ فلولاه ما كان أثر! القلم أداة العلم ووسيلته الكبرى، وأثره في الواقع، ورسمه على مر السنين والأزمان! ومن رأى أثره اليوم أدرك هذا التباين العريض في حياة الناس. كم من مقبور في الثرى تقطَّع أوصالاً ما زالت أنفاسه حية في العالمين! وكم من حي لا تكاد تجد له أثراً!

• ما كل أثر ممدوح! وهذه المنَّة بالقلم ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ ليست مطلقة، فكم من حبر هو دين في حياة صاحبه، وغداً يستوفى بين يدي الله تعالى في مواطن الحساب! وما رأيت شؤماً في حياة إنسان مثل ما رأيت من شؤم قلم الكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، وها هو في أزماننا يتطاول به صاحبه حتى على مقام ربه الذي خلقه!

• الإعراض عن ذكر الأسماء مهما بلغ سوؤها منهج القرآن، وفي الصحيح أن أبا جهل لما رأى النبي ﷺ يركع ويسجد قال: (واللات

والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب) ومع ذلك أُبهم في السورة، ولم تتعرض لاسمه، وهذا هو الأصل، وعلى الكبار أن يركزوا على الأفعال فذلك أدوم للأثر، وأصلح للدعوة ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾.

• أسوأ ما يواجهه الإنسان في حياته اعتداده بنفسه، والإعجاب بها، والإغضاء عن الأخطاء والسلبيات المتفشية فيها، وهذا أحد الأخطاء الجسام التي يقع فيها الإنسان ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ فرق كبير بين رؤية الإيجابيات وجعلها متكأً لنجاحات قادمة، والاستفادة من ذلك في علاج الأخطاء والقصور والسلبيات التي تلاحقه في حياته، وبين رؤيتها على سبيل الإعجاب والفخر والخيلاء. وجملة من الهالكين الأولين إنَّما كان سبب هلاكهم تلك النظرة الخيالية لأنفسهم والاعتداد بها، والاتكاء على جوانب العظمة فيها، والله المستعان!

• على الإنسان أن يلاحظ نفسه، ويجهد في متابعة عيوبها، ويعتني بتقويمها غاية الاعتناء، فإن ذلك أدعى لمحاصرة عيوبها، والحيلولة دون تفشيها في حياته، وأقرب إلى الترقي والفلاح. علينا أن نُعنى بمساحة المجهول في أنفسنا على حساب المعلوم، ونوسِّع في دائرة النظر إلى الأخطاء والسلبيات والنقائص بغرض علاجها وترميمها أكثر من النظر إلى غيرها ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾.

• مشكلة الطغيان أنه يمنع من قبول الخير، ورؤية الأخطاء، ومعالم الجهل، ويظل مستكبراً عن كل فضيلة، وإذا وجد الإنسان من نفسه عوارض هذا المرض، فليتعرَّف على نعم الله تعالى، وليمعن في قصوره الذاتي، فإنه موشك بإذن الله تعالى على الفلاح ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾.

• حاجة الإنسان إلى ربه أعظم من كل حاجة، وأصحاب المشاريع لن يجدوا أعواناً لهم على النهوض بمشاريعهم أعظم من توفيق الله تعالى وعونه لهم في الطريق، وعليهم أن يحذروا غاية الحذر الاستغناء عن الله.

• إن الافتقار إلى الله تعالى، والخضوع بين يديه، واستشعار توفيقه، والإلحاح عليه في الدعاء معانٍ كبيرة تأتي بالمنن على أصحابها في قادم الأيام ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

• ما رأيت أصلح للنفس من سماع النصيحة، واستقبال النقد بالفرح، والتربِّي على ذكر الأخطاء والعيوب، وإدراك مثالب النفس، فإن ذلك يخلق في العادة وعياً بواقع الإنسان، ومكانته الحقيقية.

• إن للنفس صولة في الواقع تحتاج إلى مقارعة، وزهواً في المشاعر يحتاج إلى معرفة بالضعف المقابل، وما لم تتدارك نفس الإنسان بمثل هذه المعاني وإلا يتوقف في منتصف الطريق ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

• من توفيق الله تعالى لإنسان أن يعظِّم قلبه نعم الله تعالى، ويسبل لسانه في شكرها والثناء عليها، ويسعى بها في واقعه رسالةً ومنهجاً وتاريخاً. وما عدا ذلك فهو حرمان وسوء توفيق ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

• لن تَعْظُم نعم الله تعالى في عينك وتكون سبباً لفلاحك في الدارين حتى تزدري الدنيا كلها، وتعلم أن كل نعيم مهما امتدت صورته في الواقع هو في النهاية إلى زوال، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ درس يجب أن يتلى حين تبدو صورة كل نعيم زاهية في عين إنسان.

• ما أضعف الباطل وأهله أمام منهج الله تعالى! هذا أبو جهل يصاول بالأمس الرسالة، ويقف في وجه الدعوة، ويجهد في إيذاء صاحب المنهج، وهو اليوم أثر بعد عين، ولا عبرة بباطل مهما بلغ أثراً وسوءاً ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾.

• كل تعب مخلوف مهما بلغت أعراضه! هذا رسول الله ﷺ يجهد في إيصال الحق وتبليغ دين الله تعالى بكل ما يملك ويلقى من يمنعه، ويصده، ويقف في طريقه، وينهاه حتى عن التعبُّد لربه، وتنتهي القصة بفصولها عبر ثلاث وستين سنة، وينتهي معها كل شيء، ولا تبقى سوى الذكريات ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾.

• لن يخلو زمن من مناوئين! ولن تأتي لحظة خالية من الصراع بين الحق والباطل! وعلى آثار أبي جهل أمم في كل عصر ومصر، والأيام

حبالى بغيرهم في الواقع، وهذه سنة الله تعالى في العالمين، وغداً يزول كل شيء، وتبقى أفراح الصادقين ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾.

• ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ ليست مشكلة هذا الشقي فحسب! بل مشكلة كل المتدنسين بالمنكرات، كانت تغيب عنهم هذه الحقيقة زمن طوفان المعاصي.

• ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ تكفي درعاً واقياً عن كثير من خطايا الخلوات.

• ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ في مال مغشوش يشاركك في تربية بيتك وأسرتك، وفي وقت مبخوس من وقت مؤتمن عليه، وفي ساعة خلوة في ظلام ليل تعارك فيها شهوة، وتتلذَّذ فيها بمسخوط.

• لو كنا نستشعر هذه الآية ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ لحظة قيامنا للصلاة لتبدلت أحوالنا ولذقنا فيها وعد نبينا ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**».

• مهما تحصنت لخلوتك تأكد أنه لا يفصلك شيء عن هذه الحقيقة التي تلاحقك ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾.

• ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ يرى ما في قلبك من الحسد والأحقاد وسوء الظنون والشهوات، ويرى في المقابل ما فيه من صدق وإخلاص وتقوى وبر!

• ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ يرى ما في جوالك من الخبايا، وحساباتك من الربا، وبيتك من الخطايا، ومسؤولياتك من نقص حقوقها وضياع واجباتها فلا تغتر.

• ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ حتى في نيَّتك، وهمِّ قلبك، ومراد نفسك، فكيف بما يتحدَّث به لسانك، أو تكتبه يدك، أو يديره فكرك ومشاعرك!

• ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ كانت تطارد الصالحين في كل مكان، وما لم تصنع لها شأناً في حياتك، فلن تصل لشيء.

• النصر للإسلام! وكل هذه الصور التي تدار في واقع المسلمين إنما تدار بحكمة الله تعالى ومشيئته، وقد تولى الله تعالى الدفاع عن نبيه بالأمس أمام أبي جهل ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ وسيتولَّى الله تعالى أولياءه ودعاة الحق وأعوانه في كل زمان ومكان.

• ما كل كبير في الأرض يكون مصحوباً بعون وتوفيق! هذا أبو جهل كبير قومه وسيدهم، وقد بلغ درجة السفه في فعله حتى أنه انشغل بمصاولة الحق والوقوف أمام دين الله تعالى. وإذا لم يمدك الله تعالى بعون وتوفيق فلا راد لسوء التوفيق ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾.

• كل الطغاة على موعد مع الجزاء، سواء كان في عرض الدنيا أو ساحات القيامة، ويكفي هؤلاء لو كانوا يعقلون هذا التهديد العريض لشخص أبي جهل في تلك الحقبة من الزمن ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ ومثله من كان على ذات الطريق.

• للأصحاب والقرناء سهم كبير في النجاح والإخفاق! هذا أبو جهل لم يكن ليتحرَّك في وجه الدعوة بنفسه لولا ذلك النادي الذي

يعج بصحبة السوء ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ وغالباً لا تجد مشؤوماً في واقعه إلا وصحبة طريق دفعته لتلك الخطايا والأوزار.

• علينا أن نعي أن لأعداء الدعوة والمعارضين أندية تجمعهم، يرتبون فيها لمشروع الباطل، ويجهدون فيها لإعاقة الدعوة، ويقفون من خلالها لمواجهة دين الله تعالى، والمسألة لديهم ليست اعتباطاً، أو جهوداً لا رابط بينها، وإنما تسعى نحو غاية، وأهل الحق أولى بالاجتماع والائتلاف على الحق الذي معهم، والقيام بواجباته، ورعاية حقوقه ومفاهيمه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾.

• على أصحاب الدعوة أن يمضوا في الطريق غير آبهين بعوائقه، وغير ملتفتين للناعقين على جنباته، وفي قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾ ما يبين عن المنهج أمام هؤلاء السفهاء الرعاع.

• الطاعة من أعظم العون على تحديات واقعك! وعلى المصلحين أن يدركوا أن هذه الفتن العارضة أحوج ما تكون إلى حسن صلة بالله تعالى، ولن يواجه عدو بمثل هذا المعنى العظيم ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾.

• القرب من الله تعالى فرع عن كثرة السجود، وأقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد، وإذا صحب هذا السجود بخوف وإجلال وخشية وتضرع لله تعالى كان أعون ما يكون على التوفيق ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾.

• بقدر ما تعفِّر وجهك في التراب تُضاء لك مصابيح السماء ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾ هنا في هذا الموطن بالذات أدركت سر القيام الطويل الذي كان يقومه ﷺ في ساعات الليل حتى تفطَّرت قدماه.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾.

• ثمة صلة كبرى بين القرآن ورمضان، وبين القرآن وليلة القدر منه على وجه الخصوص ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ وهذه الصلة تستوجب عناية الإنسان بالقرآن في هذا الشهر، وهو هدي نبينا ﷺ، فقد كان يدارسه جبريل بالقرآن في رمضان من كل عام، ودارسه في العام الذي توفي فيه مرتين.

• تعظيم القرآن وإجلاله حق على كل مؤمن، ذلك لأنَّه كلام الله تعالى، ووحيه إلى هذه الأمة، و﴿إِنَّآ﴾ في بداية السورة، وإسناد الإنزال إليه تعالى دليل على تفخيم شأنه، وتعظيم أمره، وجلالة قدره، وقد اجتمع لإجلاله أن الله تعالى هو المنزِل، وجبريل هو الواسطة، ومحمد ﷺ هو المتلقِّي، والليلة التي نزل فيها ليلة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾.

• تشـــريف الله تعالى لنبيه ﷺ؛ لأنه هو الذي تلقَّى وحيه تعالى في ليلة كريمة عظيمة الشأن، وقام به ﷺ في العالمين على أتم وجه وأكمل حال ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾.

• عظمة ليلة القدر وشرفها الكبير: تقرأ هذا المعنى في هذا الاستفهام ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ فإذا ما جاء في خاتمتها هذا الإجلال ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ وتكرير اســـمها صريحاً ثلاث مرات في الســـورة، وتنزُّل الملائكة فيها، وجعل للعمل فيها مزية آذن ذلك بشـــرفها الكبير، وإن ليلة يصل فيها أجر العبادة إلى أكثر من أربع وثمانين ســـنة وبضعة أشهر لهي حقيقة بالإجلال والعمل والاستثمار، والله المستعان!

• سميت ليلة القدر بهذا الاســـم؛ إما لعظم قدرها وشرفها ومكانتها عند الله تعالى، وإما لأنها تقدَّر فيها الأشياء، فتنقل آجال السنة من اللوح المحفوظ في هـــذه الليلة المباركة، أو لـــكلا الأمرين ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾.

• الزمان ظرف للعمل، ولم يعظِّم الله تعالى مكاناً، ولا زماناً إلا لما فيه من آثار العمـــل الصالح، وإن ليلة واحدة يصـــل العمل فيها إلى أن يكون بمثابة عمر إنســـان من المعمرين لهي حقيقة بالإجلال والتعظيم ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾.

• يسر هذا الشريعة؛ فليلة واحدة في العام كله يأتي منها الإنسان على أحلام أربع وثمانين ســـنة وبضعة أشهر من العمل، وهي في شهر واحد، وفي العشر منه، وفي الأوتار بالذات ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾.

• جمال وإبداع أسلوب القرآن الكريم في الدعوة: ترى هذا في الإغراء الكبير بالعمل، وحشد هذه الخيرات المترتبة على شهود هذه الليلة من عمر إنسان ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

• رحمة الله تعالى بالإنسان، يحضه على العمل، ويقرِّب له الخيرات، ويعينه على استدراك الزمان الفارط منه ببعض الأعمال، وتقريب مسافة العوض، وكل هذا من كمال رحمته وسعة فضله ورزقه ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

• في السورة احتفاء بكتاب الله تعالى حيث أُنزل في ليلة القدر، ومعنى إنزاله في ليلة القدر إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في تلك الليلة، ثم نزل مفرَّقاً بعد ذلك حسب الوقائع ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾.

• الأوقات المصروفة في تعلُّم كتاب الله تعالى، وتعليمه، وتلاوته، والعمل به من أفضل الأوقات وأجلِّها، سواء في شهر رمضان أو في ليلة القدر منه بالذات، أو فيما عداها من أوقات ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾.

• في خاتمة السورة دعوة إلى إجلال هذه الليلة، والاجتهاد فيها بالعمل ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ وإنَّ ليلة تخطو فيها الملائكة مع الناس على الأرض، وتسير في ذات المكان لهي ليلة حريَّةٌ بالعمل والاجتهاد.

• في السورة دعوة إلى تعظيم وإجلال مواسم الخيرات، والطاعات التي ورد فضلها من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

• في إخفاء هذه الليلة عن العلم دعوة للمنافسة في الخيرات، والمكاثرة في العمل الصالح، والاجتهاد في الطاعات ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ وصفها ولم يخبر بوقتها وزمنها من العشر.

• جمال هذه الشريعة وتكاملها؛ حيث جمعت بين تقريب مساحة العمل لليلة القدر، في شهر واحد من السنة، وفي العشر الأواخر منه، وفي الأوتار بالذات، وبقيت مخفية تحتاج إلى تحرٍّ، وترقُّب، وعمل، واجتهاد ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

• شؤم الخصام والتنازع وسوء أثره على الأمة؛ فقد خرج النبي ﷺ ليخبر بزمن هذه الليلة، فتلاحى رجلان فرفع خبرها، فانظر كم حرمت الأمة من فضل كبير بسبب خصومة!

• كثيرة هذه الخصومة في واقع المسلمين اليوم: تراها في بيوت كثير من المسلمين وبين الإخوة، وأخذت حظها من الجيران والأرحام،

ثم امتدت إلى أن كوَّنت فرقاً وأحزاباً وجماعات. وما حاجة الأمة اليوم إلى شـــيء حاجتها إلى اجتماع الكلمة وائتلاف الرأي ووحدة الصف، بدءاً من أنفسنا، ومن خلال بيوتنا وجيراننا وأرحامنا، ثم إلى كل مساحة يمكن أن نكتب فيها حظاً من هذا المعنى الكبير.

* * *

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾.

• شدة تمسُّك الكافرين بعقائدهم ومبادئهم مع وضوح الحق لهم ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وإن كانت الآية هنا تبين أن تمسكهم ينتهي بوصول البينة إليهم إلا أن في

قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ ما يبين لك عن هذا الأصل في نفوسهم، وعدم قبولهم الحق مع إتيان الحجج والبينات، وهذا وإن كان أصلاً فيهم إلا أن في بعض أفرادهم من يكون بخلاف ذلك. وهذا المعنى يوجب على المصلحين أن يستعدوا لدعوتهم، وأن يأخذوا بالطرق كافة والسبل الممكنة في إقناعهم للطريق.

• أثر الإلف والعادة على الإنسان؛ فإنَّ هذا التمسك والإصرار على الباطل نتيجة لإلفهم له، والزمن الطويل الذي قطعوه كفيل بالوقوف أمام كل شيء جديد. وهذا شيء طبيعي في حياتنا كلها، فإن الشيء الذي تستمر معه طويلاً وتألفه يصعب التخلُّص منه، وتقع أسيراً فيه مع كل الدلائل المثبتة لأثره السلبي في حياتك، وتحتاج إلى زمن طويل حتى تقتلعه ويصبح شيئاً لا أثر له في واقعك. وعلينا ونحن نتعامل مع الآخرين أن ندرك أثر هذا المعنى في حياتهم، وألا ننتظر منهم إجابة عاجلة في كل دعوة، وإنما نعطيهم من الوقت ما يكفي لزوال أثر هذه العادات ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾.

• يجب أن نحاكم عاداتنا إلى الحق، وأن تكون البينات الصادقة والحجج الدامغة فاصلاً في كثير من هذه العادات. إن الشيء البيِّن يكفي لدحض الأوهام والتصورات الخاطئة. وعلى كل واحد فينا أن يحاكم عاداته وأفكاره وتصوراته إلى الوحي، فما كان منها صحيحاً أمضاه، وما كان خلاف ذلك غيَّره وبدَّله، وفي قول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ ما يشير إلى هذا المعنى ويؤكِّده.

• الحق بيِّن واضح لا يحتاج إلا إلى قلب صالح يتقبله، وصادق يأتي إليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ كم من منقاد لهذا الوحي جاءت به آية! وكم من معرض تُلي عليه القرآن كله وما زال مصراً على الغواية!

• صدق رسالة رسول الله ﷺ، وأن كل شيء جاء به ﷺ فهو من عند الله تعالى، وليس له من ذلك شيء ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾.

• النبي ﷺ، وسنته بعد وفاته من أعظم البينات.

إن الزمن يتقدم في صورة مذهلة وغير مسبوقة، ومع كل ذلك تزيد السنة جلاءً ووضوحاً في الواقع، ولم يتعارض هذا العلم مع إمكاناته مع سنة النبي ﷺ في شيء، وإنما يأتي مقرراً لها، مبيناً عن صدقها، مكتشفاً لحقيقتها، وأثرها الواقعي في الحياة ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾.

• فرق كبير بين كتاب الله تعالى المطهر، المصون من التحريف والتبديل، وبين صحف أهل الكتاب من التوراة والإنجيل التي اعتراها كثير من التغيير، وفي قول الله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ وصف لهذا القرآن بالطهر، وخلوه من كل ما يعارض هذا المعنى، وفيه إشارة من جانب آخر إلى ما وقع أو يقع من تحريف وتبديل في كتب أهل الكتاب.

• (الوحي) أعظم البينات والحجج التي يجب أن يتحاكم إليها الناس، وكل بيِّنة وحجة غير هذا الوحي فهي وهم، لا حقيقة لها ولا أثر لها في البيان إلا بقدر صلتها بهذا الشأن ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾.

• سوء القصد نقص في حياة كل فرد أو جماعة. إن هؤلاء تفرقوا في الوقت الذي بانت لهم الحجج ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ وهذا يدلك على سوء نيتهم ومقصدهم. وكم من عمل وقف سوء النية والمقصد حائلاً دون نجاحه.

• فهم عقلية المخاطبين وخلفياتهم الفكرية مهم في إيصال الرسالة، ولعل في تكرار (البينة) في هذه السورة إشارة إلى حاجة هؤلاء المخاطبين إلى الحجة والدليل والبرهان أشد من حاجتهم إلى التذكير. وقد جمعت السورة بين الخطاب العقلي والخطاب العاطفي، والداعية أحوج ما يكون إلى فقه هذا المنهج، والاستفادة منه في إدارة الحوار والنقاش، أو الكلمة والخطبة ونحو ذلك.

• التفرُّق والاختلاف من أخطر الأمراض التي تصاب بها الأسر والمجتمعات والأمم، وما وقع هذا المرض إلا أورث فشلاً، وخلَّف نزاعاً وشقاقاً وتحاسداً وتباغضاً، وفي التعريض به في حال أهل الكتاب دعوة لتجنبه والبعد عن أسبابه ومكوناته ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾.

• الأصل في العلم أنه يجمع الكلمة، ويؤلِّف بين قلوب الناس، ويزيدهم وعياً بأثر الخلاف فيما بينهم، فإذا ما كان العلم هو سبب

الفرقة والاختلاف، وحصول النزاع والشقاق كان ذلك من أعظم الأدلة على سوء أثره وعدم صلاحيته، وفي قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ إشارة إلى سوء ذلك العلم في حياة أصحابه. وفي واقعنا اليوم بعض العلوم التي تكرِّس هذه المفاهيم وتوسِّع في أثرها، وتخلق نوعاً من التحزبات. والعاقل أوعى من أن يكون بوقاً باسم العلم ولا حظَّ له منه سوى الاسم. والله المستعان!

• كل تحزُّب لشيخ أو جماعة أو منهج، فهو عالة على العلم، وحرب عليه، ونَفَسٌ سوء فيه، وهي فجاج الطريق إلى الخلاف ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾.

• عبادة الله تعالى القائمة على جذر الإخلاص والخالصة من نوازع الشرك، أعظم ما أمر الله تعالى به عباده ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾.

• وصف كل إنسان، أو أمة بما هم عليه منهج حق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ والدعوات التي تنأى بالأشياء عن مسمياتها الحقيقية دعوات ضالة عن الطريق لا حظ لها في الحق.

• أهل الكتاب كفرة بنص كتاب الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ وما من أمة كانت على كتاب إلا لزمها وجوباً الإيمان بمحمد ﷺ، وبما

يدعو إليه من حق، وإلا صارت ضالة كافرة لا علاقة لها بالإسلام في شيء.

• الكفار أعظم الناس شـرّاً، وأكثرهم بلاءً في الواقع! وما أنت آتٍ على وصف أصدق من وصف خالقهم لهم، فـلا كرامة في الدنيا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ ولا عاقبة حسـنة في الآخرة ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ وأي خير ينتظر من أمة هذا وصفها في كتاب ربها تعالى. ولا يَفُتْك أننا نقول (الكفار) ولا نقصد بلداً أو مكاناً أو مسـاحة، كل من كان صالحاً لهذا الوصف، فليس صالحاً للحياة.

• لا قيمة لـكل المعاني التي يعيشـها الكافـر! وأي قيمة لمباهج لا تملك لصاحبها الطمأنينة، وهو في الآخرة من وقود السـعير! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾.

• دناءة الدنيا وقصرها؛ فهي لم تملِّك أهلها شـيئاً، وتفضي بهم في النهاية إلى الزوال. كم هي أجيال الكفر التي تستمتع بها ثم في النهاية إلى عذاب الجحيـم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾.

• الإيمان أعظم مباهج الحياة كلها! يكفي أهل الإيمان هذا الوصف الشجي من ربهم تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾، ﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ فلا أفضل منهم على وجه الأرض!

• دعوى الإيمان المجردة من العمل لا حقيقة لها في دين الله تعالى، ولا تستطيع أن تظفر بمدح لأهل الإيمان إلا وهو متبوع بأثره وفضيلته وحقيقته في الحيـــاة (العمل الصالح) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾.

• لا تستمد التصورات الكبرى للحياة إلا من خلال الوحي، وكل تصور لا ينبني عليه، فهو خدعة لعقول الناس، وكذب عليهم، وافتراء على التاريخ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾.

• ما أكثـــر أثر الرؤية علـــى نجاح الأعمـــال الكبيرة فـــي النهايات ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ حيـــن تكون الرؤيـــة مغرية تأتي الأعمال على قدر ذلك الإغراء!

• إن العامل يكدح، ويجهد، ويبني، ويصبر على كل المشـــاقِّ على أمل تلك النهايات. وكذلك كل مشروع في حياة إنسان، أو مؤسسة، أو مجتمع، أو أمة حين تنصب له رؤية كبيرة الآمال تأتي الأحلام به واقعاً مشاهداً.

• أثر الرؤية وحجمها فـــي التأثير مبني على قدر وضوحها، وإمكان تحقيقها، ولا رؤية أشد إغراء من نعيم الجنان في ذلك اليوم ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾.

• لا يجلب رضا الله تعالى ما يجلبه الإيمان والعمل الصالح! وكلما أخلص الإنسان في العمل، وصدق في الإقبال زادت مساحة الرضى عنه ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

• ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ هنا ليست حرفاً مكتوباً، بل حقيقة يُدفع من أجلها كل شيء.

• ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ سبب لتلك النتائج التي بلغوها. ما قامت في قلب إنسان إلا تركت أثراً كبيراً من نتائج التوفيق. وعلى قدر سياق هذا المعنى تجنى الثمار.

• ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ سبب في كثير من أحداث التوفيق التي ينالها الإنسان في حياته.

• ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ حاجز عن كثير من الدنايا التي تعرض للإنسان في واقعه.

• ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ إذا وجدت في واقع إنسان كانت هي الحياة.

* * *

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾.

• (الزلزال) من أعظم الأحداث التي تصيب الأرض، وإلى تاريخ هذه اللحظة لم يجد أهل العلم وسائل وقائية لدفعه، وما زالوا يقفون أمام هذا الحادث مستسلمين لقدرة الله تعالى، وهو آية من آيات الله تعالى في آخر الزمان ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾.

• لو فطن قارئ هذه السورة إلى ما فيها لما ترك مساحة ممكنة من فعل الخيرات، وقد فقه محمد بن كعب هذا المعنى فقال: (لئن أقرأ في

ليلة حتى أصبح (إذا زلزلت) أتردد وأتفكر فيها أحب إليَّ من أن أهذَّ القرآن هذًّا) ما أكثر ما نردد سورة الزلزلة، وما أقل ما نفقه منها من معنى! كم من فائت يستحق العتبى! وكم من تفريط يستوجب البكاء! ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.

• ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ سؤال ذعر وهول واستغراب وفجيعة، وليس سؤال استعلام، الحدث أكبر من يأتي عليه سؤال بارد كهذا!

• لا حدود للغفلة! وإذا استعمرت إنساناً لم تبق له عقلاً، ألا ترى لحديث السائل هنا ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ مع أنه في وجه الأحداث. ما أكثر من يستقبل فجر يومه لا يدري ما يصنع فيه، ويأتي ظلام الليل وقد بلغ منتهاه في الفوضى وهو لا يشعر!

• كم من أحداث كبرى تنتظر الخلق! هذه القبور الساكنة، والأرض الهامدة، والأشلاء الممزقة من سنين طوال تعود حية، وتبدأ رحلة الحساب من جديد! ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلاَذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ. وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي. وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً**».

• مسؤولية الإنسان الكبرى بين يدي الله تعالى يوم القيامة، يصوِّر هذا المعنى حديث الأرض عن أخبارها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ كل ما وقع عليها ستنطق به خبراً، وتشهد عليه حديثاً، وهذا السكون الذي تراه اليوم يتحول غداً إلى حوادث شاهدة ماثلة في مواقف العرصات.

• من فقهك وكمال وعيك وتوفيقك إذا وصلت إلى أرض أن تكاثرها بالخيرات، وألا يكون لك فيها موقف سوء ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ وإذا كانت الأرض ستتحدَّث يوم القيامة عن كل مشهد صار عليها، فمن توفيقك أن تكتب حظك من كل مساحة تكون فيها مع الأيام.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ رسالة فأل لكل صاحب مشروع وفكرة حية ونية صالحة بأن كل عملك وجهدك الذي ثار به غبار قدمك مع الأيام سيأتي ضمن حديث الأرض شاهد لك بالخيرات.

• كل موقف أقمت فيه حقاً، وأعلنت فيه فكرة حية، ورسمت فيه منهجاً للقيم، ووقعت فيه خطاباً للفضيلة، ودعمت فيه رأياً خيِّراً فقد استكثرت من شهودك بين يدي الله تعالى. وفي المقابل كل مساحة سوء ستأتي شاهدة بالحسرات ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ تتحدَّث بأسرار سفرك، وخلواتك، ومشاهد عينك، وحديث لسانك، وكل شيء جرى في أيام الخلوات.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ تفشي أسباب توقيعك على معاملة في الظلام، ومكالماتك التي تتخفَّى بها عن رفاق الدرب والخلان، وأحاديث ليلك التي حاولت أن تدسها في عتمة الظلام.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ صور الجوال، ولحظات الخيانة، ودقائق الفساد، وكل مشاهد الرذيلة التي كانت يوماً في مساحة من الأرض.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ القرارات التي كتبتها، ووقعتها، وعارضت بها دينك، ووقفت بها أمام الفضيلة في موقعك.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ عن المظلومين، والمسجونين، والمطرودين من ساحات العدالة إلى ساحات الظلم.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ عن الشهادة التي أدليت بها زوراً، والأيمان التي حلفتها كذباً، والمواقف التي زورتها من خلال موقعك.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ أخبار التقارير التي خرجت بها من سؤال الناس كذباً وزوراً، واستقبلت بها موارد الظلام.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ فتحصي جهدك وأثرك وعملك الذي كنت تمده في سبيل دينك ورسالتك.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ الكلمة الطيبة، والرسالة الإيجابية، ومواقف التفاؤل، وأحاديث الأمل، وساعات السفر والغربة في سبيل دينك وهموم أمتك.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ حتى البسمة لإسعاد الآخرين، والكلمة للإصلاح بين المتخاصمين، والخطوة التي تعين بها محتاجاً أو مسكيناً، والصدقة التي تفك بها كروب المعدمين.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ ليلة لقائك بأمك، وعون أبيك، وصلة رحمك، وأحاديث الجيران، ولقاء الصحب والخلَّان.

• ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ كل شيء، وفي أي مكان، وفي أي زمان، وتحت أي ظرف.

• لا تحتقر عملاً في الخيرات، فكم مِنْ يسيرٍ يأتي فارجاً للكرب، ومخرجاً من لحظات الضيق ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ ولا تحتقر في المقابل عملاً سيئاً، فكم من يسيرٍ أورث ذلاً في النهايات ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.

• إذا لوَّثت مساحة أرض بالخطيئة، فإياك أن تبرحها حتى تمد فيها بالصالحات ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.

• استحبَّ بعض أهل العلم تغيير موضع النافلة عن الفريضة لهذا المعنى في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ وفي سنن ابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه ـ وصححه الألباني ـ قال النبي ﷺ: «**لا يصلي الإمام في مقامه الذي صلى فيه المكتوبة حتى يتنحَّى عنه**»، وله في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ: «**أيعجز أحدكم إذا صلى أن يتقدم أو يتأخر أو عن يمينه أو عن شماله**»، والله تعالى أعلم.

• تعدد الشهود يوم القيامة، وكم من شاهد ينتظر دوره في البلاغ! هذه الأرض تضج بأخبارها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ والجوارح تقف شاهدة على خطيئة أصحابها ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ

﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] والملائكة ثالث الشهود، وما من شيء يضيع، والفَطِن من استدرك زمانه قبل الفوات.

• ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾ هذا صدور القوم فعلام يردون! كم من مغبوط برؤية عمله ومشروعه ورسالته! وكم من متحسّر على فوات الأرباح!

• ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾ يصدرون ليروا تاريخهم الذي خلفوه، ونتائجهم التي حققوها، وبشائر الفرح، وأحداث الحزن التي كفنوها في صحف الأعمال.

• ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾ كم من منتظر لهذه اللحظة! وكم من فارٍّ منها وقد آن أوان اللقاء.

• كم من ليلة عاد فيها إلى بيته مجهداً من مشروعه وهدفه ورسالته، وها هو يصدر لرؤيتها ومشاهدة لذتها ونعيمها! وكم من ليلة عاد فيها إلى بيته مجهداً من مواقع الرذيلة، وساحات الأخطاء، وها هو يصدر لرؤيتها ومعاينة بؤسها وألمها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾.

• ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ دعوة لاستثمار الفرص العارضة، وصناعة حكايات النجاح من خلالها.

• ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ إذا كان هذا في مثاقيل الذر، فأين المكاثرين في الخيرات!

• إذا استطعت أن تشارك في تأسيس عمل خيري أو إنشاء وقف لدينك، فإياك أن تفوتك فرص البدايات ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

• لا تتبرم من طلب الآخرين لك، احتاجوك اليوم وستحتاج لأثر هذا الطلب في يوم المثاقيل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

• المثقال يؤول في النهايات إلى مثاقيل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ فاجهد غاية وسعك، واكتب حظك من العمل قدر استطاعتك، ولا تتخلَّف عن الفضائل في مساحة من الحياة.

• ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ في مثل هذه المساحة لا تسل عن نوع العمل ولا كثرته! امنحه وقتك، وسيأتيك شاخصاً في يوم الحاجات مبهجاً في موازين الحسنات.

• وقف في الطريق ليركب واقفاً، وأخذ بيد أعمى لحافة الطريق، وسعى في تزويج محتاجين، وأصلح بين متخاصمين، وأخذ عوداً ساقطاً في وسط الطريق، وفي كل مرة يقول لنفسه حاضَّاً: لعل يوماً نرى فيه هذه المثاقيل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

• يذهب للمسجد في باكر الوقت، ويصلي ما شاء الله تعالى، ويتلو من كتاب ربه ما تيسر، وما يزال مرابطاً من سنوات، وكل ذلك وعي بأيام المثاقيل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

• ليأتينَّ يوم تـرى فيه حتى كتابة إعلان الـدرس، وتعليقه، وإعادة نشره في وسـائل التواصل، ودعوة الناس إليه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

• مهارتك التـي فتح الله تعالى بها عليك يمكـن أن تجمع بها من مثاقيل ذلك اليوم ما تكون به سـبباً في النجاة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

• ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ فـي أي مسـاحة من أرض وساعة من زمن. غداً تقف ماثلة للشهود.

• لو أنَّ هيئـات مكافحة الفسـاد جهدت في تعميق هـذا المعنى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ وبيان أثره بشتى الوسـائل، فقد تبلغ مناها وأهدافها من أقرب طريق.

• الظلام لا يحمي سـارقاً، ولا يستر مفسـداً، ولا يقف في وجوه العابثين! حسـبهم ذلك اليوم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

• هم لا يأكلون مثاقيل الذر فحسب، وإنما يهدمون ميزانيات دول، فمـا لهـم وللعـذاب! ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

• الذين يقتِّلون الأبرياء، ويسـترخصون الدماء، ويثيرون الفتن: أما

تعظهم هذه الآيات ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

• حتى الكلمة التي تشتم بها عاملاً، أو تثير بها فتنة، أو تلقي بها في وجه مكلوم ستأتي ضمن تلك المثاقيل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

• الجزاء من جنس العمل! وكل من عمل عملاً، فهو لاقٍ جزاءه بين يدي الله تعالى، إن خيراً فهو خير، وإن شراً فشر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

• تقرر السورة ضرورة العناية بالسلطة الإيمانية، وأثرها في النفوس. إنَّ النفوس حين تخلو من هذه الزواجر تسطو على كل شيء ولا تبالي، مهما كانت السلطة الرقابية شديدة، وتعجز كل النظم التي يسنها البشر في الوقوف أمام جبروت الإنسان وفجوره، تأتي الموعظة الإيمانية، فتعيد ترتيب الإنسان وتقوِّمه في الحياة من جديد ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪ ﴾.

• ما أكثر أثر الخيل على أهلها في صدر الإسلام! ترى هذا في القسم بها في أعزِّ مواقفها، وأكثرها أثراً في حياة الأمة ساحات المعارك، وكم من رقعة طوتها حوافر خيل وصهيل جياد في تلك الأيام! ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤﴾.

• كل آلة، أو دابة إنما تنال حظها من الثناء على قدر دعمها لرسالة الإسلام، وإنما كانت الخيل حقيقة بهذا الاحتفاء لأنها دابة الجهاد في الإسلام في صدر الإسلام، ومعلم من معالم العز والشرف في تلك الأيام، ولا خيل أشرف من خيل المعارك، وفي البخاري من حديث أبي

هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «مَنِ احْتَبَسَ فَرَساً فِي سَبِيلِ اللهِ إِيمَاناً بِاللهِ وَتَصْدِيقاً بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي الطبراني من حديث سهل بن الحنظلية ـ وحسنه الألباني ـ قال: قال ﷺ: «إِنَّ الْمُنْفِقَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَالْبَاسِطِ يَدَيْهِ بِالصَّدَقَةِ، وَلا يَقْبِضُهَا». وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْراً وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لأَهْلِ الإِسْلَامِ فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفاً أَوْ شَرَفَيْنِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ». ﴿وَالْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

• كل فعل، أو جهد، أو مال، أو مشروع يقدمه الإنسان لدينه، ويمد به في مساحته؛ فهو من الجهاد الذي يحبه الله تعالى، ويثني على صاحبه، وإذا كانت مشاركة دابة أوجبت لها هذا الإجلال، فكيف بجهد مسلم في ساحات الأرض من أجل الله تعالى!

• الإنفاق في باب الجهاد، وتحصين المسلمين، ومدهم بما يمكنهم من التصدي لعدو من أعظم أوجه البر والقرب في سبيل الله تعالى ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

• يحب الله تعالى الجهاد وأهله، ودوابه، وكل ما يتعلَّق به، وهذا العرض لصور الخيل، وهي في ساحات المعارك دليل على حب الله تعالى لكل مظاهر الجهاد التي تعرض في الأرض، حتى إن رسول الله ﷺ أخبر أن من الخيلاء التي يحبها الله تعالى اختيال الرجل عند القتال ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

• الجهاد مشروع بالنفس، والمال، وهذا المعنى يتطلب بذلاً وعطاء، وطبيعة الإنسان المجبولة على الكنود لا تتوافق مع هذا؛ فيجد الإنسان عسراً كبيراً في فعل محبوبات الله تعالى، وإذا استطاع أن يتجاوز هذا الكنود، ويقدم محبة الله تعالى وطاعته على هوى نفسه دلَّ على عظيم حظ الإيمان في حياته ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾.

• أكثر ساحات المعارك التي تخوضها الأمة اليوم ساحات الأفكار والمفاهيم، والنزال فيها يحتاج إلى رجال، والنصر فيها مؤذن بتوسُّع مساحات الربيع، فكم من حرب قامت على فكرة، ووقفت من أجلها، وما مساحات الدماء المتدفقة والمشاهد المتكررة إلا من أجل تلك الأفكار. فأين أنتم يا حمَّال سرج الظلام؟!

• للنجاح عادات تَمثِّلُها الخيل في ساحات المعركة، فكوَّنت هذه الصور المثيرة في واقعها: (المسارعة، والقوة، والمبادرة، والفاعلية، والقيادة والتأثير) وكل إنسان يمسك بعنان هذه العادات، ويتمثلها في واقعه تشرف به على مباهج النجاح ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

• الناجحون عبارة عن مجموعة من العادات الإيجابية، والمخفقون في المقابل عبارة عن عادات سلبية، وكم من عادة أشرفت بصاحبها على مساحات الربيع! وكم من عادة قعدت بصاحبها عن الخيرات! ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

• الأصل في الإنسان الجحود، ونكران نعم الله تعالى، ونسيان فضله، وهذا القسم الكبير من ربك تأكيد لهذه القضية المتأصلة في نفس كل إنسان ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ قال ابن عاشور رحمه الله: وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوتٍ فيه ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكُمَّل أهل الصلاح؛ لأنه عارض ينشأ عن إيثار المرء نفسه، وهو أمر في الجبلة لا تدفعه إلا المراقبة النفسية وتذكُّرُ حق غيره، وبذلك قد يذهل أو ينسَى حق الله، والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته؛ لأنه يشتغل بإرضاء داعية نفسه، والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخُلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبته. اهـ. وعلى العاقل أن يغالب هذا الطبع، ويرتفع عن هذا الخلق، ويجهد في تحقيق غايات الفالحين.

• رأيت أناساً كأن الله تعالى لم يخلق فيهم هذا الطبع ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ جاوزوا القعود والخنـوع، وذهبوا يخلِّدون في التاريخ ذكريات الكبار. ورأيت آخرين يلهجون لله تعالى بالثناء على ما أعطاهم، وكأن هذا المعنى لم يخلق فيهم قط. وكذلك الكبار، وفي واقعك اليوم من هـذا المعنـى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ كُثر ناكـرون لنعم الله تعالى، جاحدون لفضله، معترضون على قضائه.

• عند العقلاء كل جبلـة تحتاج إلى مغالبة، وكل عادة سـيئة قابلة للتغيير إذا وعى صاحبها واجبـه تجاهها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ وبدأ في العمل والجهاد لتغييرها.

• كل إنسـان يعرف أخطاءه، ويدركها، ويعرف كل ما يتعلَّق بتخلفه في الجملة، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ ما يبين عن ذلك، وهي دعوة أن يلتفت إليها، ويجهد في تسـليط الضوء عليها، ومحاولة الخلاص والفكاك منها قدر الوسع.

• أثر العلم في كل مشـروع، وأنه سـبيل لفلاحه وكماله، وفي هذه الإشـارة إلى طبع الإنسـان ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ لفتة علمية مهمة لأصحاب المشاريع الدعوية والتربوية والاجتماعية أن يدركوا طبع الإنسان الذي يخاطبونه، وأن ثمة أخلاقاً جُبل عليها يجب أن تستوعب حتى تؤتي المشاريع حقها من التأثير.

• يجب ألا نحاصر الناس بأخطائهـم، وتخلُّف أدوارهم، فإن جزءاً كبيراً من قصورهم ناشـئ من طبيعة وجبلة وخلقـة من عند الله تعالى،

وقد يتأخَّر الإنسان في علاج بعض الجوانب، فيتخلَّف في الخير بقدر تخلُّف هذه المعاني في حياته، وعلينا أن نكشف للناس هذه النقائص، ونعينهم على سبل تخطيها وتجاوزها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾.

• المال من أعظم محبوبات الإنسان ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ وهذه جبلة ملازمة لـه ما بقي في الدنيا، وكم من ناقص من آثارها! وكم من متأخر عن مكارم الأخلاق من خلالها! جُبلت النفس على الفرح بالمال والتعلق به، وليس الشأن كم تجمع! وإنما الشأن أن تفتح به قلباً أغلف عن الحق، وتهدي به ضالاً في الطريق، وتفرِّج به همَّ أرملة بلا معين، وتسد به حاجة يتيم، وتدفع به في دروب الخير ومسالك الحق أجود ما تكون، وعلى مثل هذه المعاني يكبر القوم. والله المستعان!

• كلما ازداد إيمان الإنسان وتعلقه بالله تعالى قلَّت في المقابل جوانب القصور والنقص في حياته، وبالعكس، وفي قول الله تعالى: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ إشارة إلى أنه لو كان يعي هذه الحقيقة لما تعلَّق بالمال لدرجة الحرمان. وفي ذكر حال الإنسان، وما جبل عليه في حياته في بداية السورة، وتذكيره بمصيره وعاقبة أمره مناسبة لطيفة تدعو للتذكر والاعتبار قبل الفوات.

• كم من غريق في ساحات القيامة من أثر سوء قلبه! وكم من فرح بهيج بصلاح قلبه ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ يمكنك أن تــواري كل ما في صدرك! لكن من يحول بينك وبين الفضائح في ساحات ذلك اليوم؟!

• صلاح الأعمال منوط بصلاح القلوب، وفي الحديث: «**وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**». قال ابن القيم رحمه الله: فواجبات القلوب أشد وجوباً من واجبات الأبدان، وآكد منها، وكأنها ليســت من واجبات الدين عند كثير من الناس، بل هي عندهم من باب الفضائل والمستحبات، فتراه يتحرَّج من ترك فرض أو من ترك واجب من واجبات الدين، وقد ترك ما هو أهم مــن واجبــات القلــوب وفروضهــا، ويتحرج من فعــل أدنى المحرمــات، وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشــد تحريماً وأعظم إثماً. اهـ.

• النيــة النيـة، فكـم من عمــل بهيـج ضـاع في زحــام الريـاء! ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

• يمكن أن نقنع من حولنا في الدنيــا بضرورة الإخلاص، ونجيب عن كل التساؤلات المشككة في نقاء ذلك العمل، لكن من يجيب عند بعثرة القبور عن تلك الصور التي زاحمها الرياء؟ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

• كتب خطاباً ووقع أســفل منه، وكتب مذكرة وأشار إلى اسمه، وشارك في رسالة ومشــروع وذيله باســمه، مَا لَـكَ ولرسـوم الريـاء

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾.

• في أيام التواصل الاجتماعي وانتشـــار التصوير سل الله تعالى أن لا يضيع عملك ويبدِّد جهودك فـــي غير طريق ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾.

• ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ كم تحتاج هذه القوارع إلى إمعان! رأيت من يقرؤها كأنه يقرأ حرفاً مبتوراً عن معناه، ورأيت من يتدفق دمعه بمجرد قراءتها أو سماعها. فرق بين الأحياء والأموات.

• إذا أردت أن تعرف قدر هذا القسم ومعناه، فتأمل صوره وأحداثه التي تجري في ساحات القيامة ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ

﴿ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ الناس كالجراد المنتشر في الأرض، والجبال كالصوف في رقَّتها وضعفها، وكل إنسان وجهاً لوجه مع الحقائق والنهايات.

• تخيَّل أنك ترى خلق الله تعالى منذ خُلق آدم إلى ذلك اليوم في موقف واحد يرقبون موعداً، وينتظرون جزاءً ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾.

• كم في هذه الأفواج من صاحب نعيم! وكم فيها من صاحب جحيم! كم فيها من كان ينتظر هذه اللحظات بشغف! وهذا موعد الجزاء، وكم فيها من مكذِّب فجعته الأحداث ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾.

• إلى كل المكذبين، والمعرضين، والغافلين عن مشاهد هذا اليوم: هذه هي الحقائق كما ترون ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾.

• ماذا يصنع أصحاب الشهوات في عرض هذه المشاهد التي تخطف الألباب، وتطير بمكامن العقول! ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾.

• وانتهت آماد الدنيا الطويلة، وبقيت الحقيقة رأي عين ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾.

• هذه هي ساحات القصاص ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾ وعلى كل إنسان أن يدلي بحججه ومعاذيره عند السؤال.

• الوعيد منهج قرآني، وأسلوب من أساليب الدعوة لكنه ليس بمعزول عن منهج الوعد، والقرآن وحدة واحدة، وفي سور كثيرة وعد عريض بما أعدَّ الله تعالى للمؤمنين المتقين ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾.

• التكرار أحد أساليب الإقناع، يأخذ منه السامع في البداية نسبة ضئيلة، ثم ما تلبث أن تزداد هذه النسبة وتتضاعف مع التكرار حتى تصل لأعلى نسبة ممكنة.

• إن الخطاب الدعوي أيًّا كان سواء الموعظة في المسجد، أو خطبة الجمعة ينبغي أن يعنى بهذه اللفتة، وأن يؤكِّد على مضامين المعنى الذي يريده بأكثر من طريق، وألا يذهب المقصود والهدف الكبير والمعنى المراد في مجموع الخطاب دون تأكيد.

• فن الإلقاء، وطريقة الخطاب لها أثرها الكبير في إقناع السامع وإمتاعه، وينبغي أن يأخذ الموضوع قدره من الكلمة، والصوت، والحركة حتى يأتي ممتعاً مقنعاً لمن يصل إليه. إنك حين تقرأ قول الله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ تمتلئ أذنك من أثر صوت الكلمة وقرعها، وتأخذ حجماً كبيراً

من الحركة في قلبك ومشاعرك وواقعك، وكذلك ينبغي أن يكون خطاب المصلحين.

• للأمثلة حظ كبير في تقريب أثر خطابك إلى أذهان السامعين، وهي وسيلة مهمة في إيصال الرسالة من أقرب طريق ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾.

• مواعظ القرآن كافية في إيصال الرسالة التي يريدها المصلحون، ولن يستقبل قلب موعظة أكثر عمقاً وأثراً من موعظة القرآن، وعلى الدعاة والمصلحين أن يعنوا بهذا الجانب حتى يجد حظه من قلوب السامعين ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾.

• يجب أن تقتصر الموعظة على كتاب الله تعالى، وما صح من سنة النبي ﷺ، وألا تحملنا الشفقة على الناس في ابتكار قصص ضعيفة، وروايات باطلة لتخويف الناس وإعادتهم للحق، والمشاهد التي عرضتها السورة جزء من مشاهد ذلك اليوم، وقدر من تلك المساحة التي سيراها كل إنسان ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾.

• قيمة العمل وأثره في فوز الإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ إنَّ الموازين لا تثقل يوم القيامة إلا بالعمل، وكم من ميزان خفَّ لجهل صاحبه بهذا

المعنى الكبير! وإذا نظرت في سير العباد إلى الله تعالى أدركت أنَّ لكلٍّ حظّاً يوم القيامة من ثقل العمل وخفته.

• سوء عاقبة التفريط والتسويف، وما خف ميزان عبدٍ يوم القيامة إلا من آثار ذلك! وكم من خاسر نادم تلظى قلبه الحسرات غداً بين يدي الله تعالى، وما ينفعه بعد الفوات شيء ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

• شدة عذاب النار، وسوء عاقبة أهلها، ومن أعطى هذه السورة قلبه ومشاعره أدرك كل حرف من هذا الوعيد، وعاد إليه بالخيرات قبل الفوات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

• ما أبشع صور العذاب! يهوي في النار على رأسه سبعين خريفاً في الطريق إلى قعرها ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

• حق هذا الجسد المترف بالنعم التارك لحقوق الله تعالى أن يهوي على رأسه إلى جهنَّم وبئس المصير ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ مشهد من مشاهد الخسارة في نهاية الحياة.

• كل عقل لا يبلِّغ صاحبه تلك الغايات التي أرادها الله تعالى حقه أن يرتكس في سواء الجحيم ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

• رأيتهم يفكـــرون، ويخططون، ويجهدون في إغـــواء العالمين عن الطريق، واليوم تدور دوائر الجزاء والحســـاب ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾.

• مؤلم جداً! يهبهم الله تعالى عقولاً ويستخدمونها في نشر الإلحاد، وروايات الفساد، والفسق والمجون، وينسون مواقف الجزاء والحساب ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾.

• كم مـــن عقول لم تســـمع لداعـــي الله تعالـــى دارت عليها دوائر الحساب، وسقطت على رؤوسها في حمأ الجحيم ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾.

• أنت الذي تكيل في ميزانك، وأنت الذي تســـتوفيه في ذلك اليوم ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾.

• من فقه آي هـــذه الســـورة ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ أن تســـتفرغ وسعك في الصالحات، وتباعد بينك وبين الموبقات.

• مردُّ علم الســـاعة إلى الله تعالى، وهذه السورة أشارت إلى بعض مشـــاهد ذلك اليوم وما فيه مـــن أحداث، وتركت الحديـــث عن أجلها وموعدها لله تعالى ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ

ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.

• كل معرفة لا أثر لها في العمل فلا حاجة إليها؛ لأنَّ السورة أشارت إلى بعض أحداث الساعة وتركت موعدها ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا**». وهذا المعنى أصل ينبغي أن يمتد في حياتنا في ظل هذه المعارف التي تتدفَّق بصورة غير مسبوقة على واقعنا، وباتت تحول بين الإنسان وبين غاياته الكبرى.

• عدل الله تعالى؛ فإن ثقل الموازين وخفتها راجع لجهد الإنسان وعمله لا إلى شيء آخر ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ إنَّ الجزاء والحساب لا تقدره مكانة أو منزلة، أو جنس، أو لون، وإنما يقدره العمل فحسب. وكل عاقل مسؤول اليوم عن تمدُّد هذا المعنى في حياته بأقصى ما يمكن.

• الخطاب الدعوي يجب أن يأخذ حقه من التنوُّع، ولا يصبح قالباً واحداً في كل وهلة، ترى هذا في منهج القرآن وأسلوبه الدعوي بأوضح صورة، وتراه هنا في هذه السورة وهو يقصر صورة النعيم ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ على مشهد واحد، ويمد في صورة الشقاء في أكثر من صورة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ ومن فقه أسرار وأساليب القرآن تحقق له ما يريد في مشروعه الدعوي.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾.

• الأصل أن يقتصد الإنسان من دنياه قدر الوسع، وأن يأخذ منها ما يبلِّغه غايات الآخرة فحسب! إن الله تعالى يُعرِّض عاتباً ولائماً على أولئك المكاثرين في أمر الدنيا على حساب آثار الآخرة ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• يجنح طبع الناس إلى الكم في كثير من أفعالهم على حساب الكيف، فترى كثيرين يشتغلون بجمع المال على حساب نقائه وصفائه من شوائب الحرام، ويجهدون في الحصول على ذرية، ولا ينشغلون بتربيتهم وإعدادهم للأمة، وتحوَّلت المسألة العددية حتى في أذهان كثير من أهل الفضل والصلاح وطلاب العلم، فينشغلون بعدد وردهم من الصلاة والصيام والقرآن والذكر على حساب الكيف. والأصل أن يُعنى الإنسان بالكيف، ويجهد في إتمام العمل، ويتحرَّى صدقه

وموافقته للسنة، وعليه في المقابل أن يزيد في الكم بالقدر الذي يمكنه الجمع بين الفضيلتين ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• جزء من مشكلاتنا المزمنة على مستويات كثيرة التركيز على الكم على حساب الكيف، وهو مرض أصاب الأمة في جزء كبير من مشاريعها، وقلَّ أن تجد من يلتفت إلى الكيف، وقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ رسالة في ذمِّ هذا السلوك، وتوجيه إلى تصحيح المسار.

• (تصحيح التصورات) من القضايا الكبرى التي ركَّز عليها القرآن، وأولاها عنايةً واهتماماً في كثير من قضايا الحياة. والعناية بالكم على حساب الكيف أحد التصورات الخاطئة التي شلَّت جزءاً من أثر مشاريع الأمة وواقعيتها في كثير من الأحيان ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• غالباً ما يغيب مفهوم (إدارة الأولويات) وسط العناية بكثرة الأعمال، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ما يبين عن ذلك، فإنَّ الكثرة في مجال ما سبب في ضياع هذا المفهوم في مجالات أخرى.

• مشكلة المكاثرة أنها لا تقف بصحابها عند حد، وما تزال به حتى يفجأه الموت، وتذهب به إلى القبور، وهو مشغول بها منهمك في تبعاتها مضيع لقضايا كبرى أهم وأولى ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• من الحرمان لإنسان أن يُحرم من النظر والتأمل في عمله، ومحاسبة نفسه، وهذا العتاب واللوم في السورة موجَّه إلى قوم انشغلوا بالتكاثر عن الحساب والنظر والتأمل حتى لقوا الله تعالى ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• (التسويف) من أعظم الأخطار التي تواجهنا! وكم ظل هذا المرض يطارد قوماً حتى أوردهم المقابر دون استعداد ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• كتابة الوصية، وتنظيم أمورها، والعناية بالأوقاف، وإعطاء الناس حقوقهم أو تدوينها ضرورة تحض عليها السورة من خلال هذا العتاب واللوم الموجه للمفرِّطين ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• التخطيط، وإدارة الحياة للمستقبل من كمال عقلك وفقهك، واستثمارك لوقتك، واستعدادك لرحلتك، فهؤلاء المكاثرون إنما ساءت نهاياتهم لضعف التخطيط وإدارة مستقبل حياتهم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• التكاثر في الخير والعمل الصالح أمر محمود، وهو داخل ضمن المسارعة التي حث الله تعالى عليها، وفي الآية إشارة إلى ذم التكاثر الملهي عن الطريق، الصاد عن الحق، ومدح للمكاثرة التي توصل طريق الإنسان بالآخرة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• الكثرة قد تكون سبباً وطريقاً للخذلان، وعلى كل من أوتي فضلاً من مال، أو علم، أو ولد أن يتقي الله تعالى فيها، وأن يدرك أنها ابتلاء

واختبار من الله تعالى له، ويعي دوره ومسؤوليته في القيام بحقها ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• شدَّة خطر النعمة على صاحبها! ألا ترى أن الله تعالى يهدِّد المكاثرين بالنعم المنشغلين بها عن طاعة الله تعالى بقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ وكم ممن أنعم الله تعالى عليه بجاه وسلطان، أو مال، ومكانة وهو يصرفها في غير طريق، ويجهد بها في معارضة دين الله تعالى.

• تدحض السورة (الوهم) المستلقي في عقول هؤلاء الغافلين، فإن الذي أشغلهم عن الاستثمار الأخروي نوع من العلم الوهمي الذي خيَّل لهم طول الحياة، أو نفع هذه الأموال، أو غير ذلك، وفي قول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ ما يكشف عن حقيقة ذلك الوهم الذي عاشوه في حياتهم.

• القبر أول منازل الآخرة! والناس فيه ما بين مغبوط ومغبون! والأفراح والحسرات فيه على قدر كدح الإنسان وقعوده في عرض الدنيا ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

• شدة أهوال يوم القيامة ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ ولو عقل إنسان معنى هذا الوعيد لأدرك ما بعده من حسرات، وبذل كل ما يملك للنجاة.

• شدة عذاب جهنم! وفي قول الله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ ما يدلك على آثار هذا العذاب في ذلك اليوم. ومن فقهك وكمال وعيك

أن تأخذ لهذا المعنى قدره من الاستعداد حتى ترد سالماً من التبعات يوم القيامة.

• كم من نعيم سيجري عليه سؤال الله تعالى يوم القيامة! ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ أيّاً كان هذا النعيم؛ في مال، أو ولد، أو علم، أو فكر، أو جاه ومنصب، وعلى كل مؤمن أن يقوم بحقها من خلال توظيفها في مصالح الأمة ومشاريعها حتى يأتي يوم القيامة مستكثراً من الخيرات متخفِّفاً من سؤال التفريط.

• ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ سؤالك هناك على قدر نعيمك هنا، ومن توفيق الله تعالى لك أن تستعمل كل نعيم آتاك الله تعالى في تحقيق مراده ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ ولو فطن كل واحد منا إلى هذه النعم في حياته ثم استثمرها في دعم منهج الله تعالى لجاء رابحاً في الدارين.

❊ ❊ ❊

سُورَةُ العَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• هذه السورة عظيمة، تمثِّل منهج الحياة كما يريده الإسلام، ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتخذونها شعاراً في ملتقياتهم، وإذا التقى اثنان منهم لم يفترقا حتى يقرأها أحدهما على الآخر، وقد قال الشافعي: لو تدبَّر الناس هذه السورة لوسعتهم. وفي رواية أخرى: لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم.

• قيمة الزمن في حياة الإنسان! ترى ذلك من خلال قسم الله تعالى به هنا، وقد بلغك أنَّ الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم! وهو ظرف للأعمال، وعلى كل عاقل أن يدرك قيمة زمانه، ويستثمره في كل ما من شأنه أن يرفعه في الدارين ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾.

• أول القيم وأكثرها أثراً في حياتك استثمارك للوقت، وما تيجان الفضيلة التي تراها على رؤوس الناجحين إلا الأثر العظيم لتلك الفضيلة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾ استثمر وقتك تُزاحِم الناجحين في معترك الحياة! وقد قال الأول: أدركت أقواماً شُحُّ الواحد منهم بوقته أعظم من شحه بديناره ودرهمه. وقيل لآخر: كلمني قال: أمسك الشمس. ومن عرف هذه الحقيقة أدرك حظوظه كما يريد، ومن تغافل عنها بقي عمره في الهوامش ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾.

• ثلاث دقائق كافية لصلاة ركعتين بطمأنينة، وعشرون دقيقة كافية لقراءة جزء من القرآن، وسبع دقائق تختم فيها أكثر الأوراد أثراً في حياتك: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير (مئة مرة). وكل هذا يدلك على أن أعظم موارد الإنسان وأكثرها أثراً في حياته الوقت ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾.

• الأصل في الإنسان الخسارة ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ وإذا كان الأمر كذلك، فعلى الإنسان أن يستوثق من دينه، ويجدد إيمانه، ويجهد في التمسُّك بعروته الوثقى قدر وسعه. وغالب من حولك يعيش في تيه الخسران، فإياك وضياع الخاسرين. ومن أدرك حقائق الواقع عاش مستلذاً بما فيه ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾.

• حين لا تجد مشروعك، ولا تلقى فكرتك التي تعيش من أجلها، وهدفك الذي تطارده كل صباح، فتلك بعض مظاهر الخسارة في الدارين ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾.

• الخسارة الحقيقية خسارة الدين، وكل خسارة في غير هذا المعنى لا قيمة لها، ومن بقي له دينه بقي له كل شـــيء، ومن فاته دينه فاته كل شيء ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• لا تستوحش من قلة السالكين معك في الطريق ذاته، فإن هذا هو الأصل، وما عداه عارض لا يعتد به. وكما قـــال ابن القيم رحمه الله: وكلما استوحشـــت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن ســـواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شـــيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق ســـيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفتَّ إليهم أخذوك وأعاقوك. اهـ. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• وطِّن نفسك على اســـتقبال العثرات، والعوائق، وتأخُّر المشاريع، واستعلاء الباطل في كثير من الفترات، فإن الغلبة كثيراً ما تكون للكثرة. وإن كان هذا ليس غالبـــاً بفضل الله تعالى لكنها ســـنن تلقى حظها من الواقـــع ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• القلة لا يمكن أن تحقق نصراً على الكثرة المقابلة إلا باســـتجماع قوى النصر الأخرى التي تســـهم في الغلبة على الكثرة؛ كحسن الصلة بالله تعالى، والتوكل عليه، والصدق في الطريق، فعلى الأمة أن تعي هذه المســـألة، وتفقه الطريق الموصل إليها، وتخطط لبلـــوغ تلك الغايات،

وتبذل من أجل ذلك كل الأسباب الممكنة، فإن ذلك عادة ما يقلب الموازين ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• الإسلام لا يستمد قوته من كثرة الأتباع، وإنما يستمد ذلك من قوة تمسكهم بدينهم وقيمهم، وتراه يمتد ويمضي مع قلة الأعوان والنصراء ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ فالكثرة خاسرة، ولا تنتصر القلة إلا من خلال ذلك المعنى الكبير.

• كل المناهج والنظم والأديان المنتشرة سوى الإسلام باطلة لا قيمة لها، حتى لو كانت عند أهلها وأصحابها كل شيء، يقرر هذه الحقيقة الكبيرة قول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• الإيمان حركة كبرى في واقع الحياة، وليس معنًى جامداً في قلب إنسان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ فالإيمان لا يكون مبهجاً في شيء إلا من خلال العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وما عدا ذلك فلا قيمة له في شيء.

• كمال الإنسان بمراتب أربع: معرفة الحق، والعمل به، وتعليمه، وصبره على الأذى فيه، وهذه منازل الكبار والشرفاء، وهي غايات الإسلام ورسالته الكبرى، وكم من عارف بالحق غير عامل به! وكم من عارف وعامل على حدود نفسه! وكم من عارف وعامل ومعلم لكنه

قليل الصبر في الطريق، فإذا ما توافرت هذه المراتب الأربع كلها في حياة إنسان عظم شأنه وارتفع ذكره في العالمين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• الدعوة مرتبطة بالأذى! وعلى سالك الطريق أن يدرك أن تكاليف الطريق باهضة، وشاقة، وتحتاج إلى تضحيات، وفي قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ ما يبين عن ذلك.

• أثر الجماعة في دين الله تعالى، ترى ذلك من خلال صور التشريع في العبادات، كالصلاة، والصيام، والحج ونحوها، مما يدلُّك على أهمية الجماعة في الإسلام وأثرها الكبير في البناء، وعلى سالك الطريق أن يمد في هذه الغايات قدر وسعه، وأن يجهد في تكامل دوائرها حتى تؤتي حقائقها التي أراد الله تعالى في النهايات. إذا كان الأصل في أهل الطريق القلة، فإنَّ اكتمال معاني الجماعة ضرورة لتحقيق غايات الدين. وأهل الإسلام أحوج ما يكونون إلى الاجتماع، والائتلاف، ومد يد الإخاء والعون لكل واحد في سبيل تحقيق ذلك المعنى، وأن نجهد قدر الوسع في رتق الخلاف، وردم فجوته، ونتجاوز عن كل ما يمكن أن يكون عثرة في الطريق ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• ضرورة (المشروع) في حياة الأمة، إذا كان أصحاب الحق قلة، ويواجهون كثرة الباطل فهم في أمسِّ الحاجة بعد اجتماع كلمتهم إلى

استثمار طاقاتهم في مشاريع تخصصية تستبق كثرة الباطل، وتستحوذ على دوائر التأثير، وتأتي على تحقيق غايات الجماعة المسلمة قبل الكثرة الهادرة.

• إنَّ هذه القلة لن تكون في مستوى التحديات حتى تأتي على إدراك هذه المعاني، واستثمار قدراتها قدر الوسع، وتمكين طاقاتها من العمل كلٌّ فيما يخصُّه ويحسنه. وفي كلٍّ خير.

• أهمية الصبر؛ فإن قيام الإنسان بدوره من خلال الإيمان والعمل الصالح، والمرابطة على دينه تحتاج إلى صبر ومعاناة، وكذلك إشاعة فضيلة التواصي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء روح الجماعة سيكون عرضة للخلاف والمشكلات التي تحتاج إلى صبر ومجاهدة حتى تبلغ ثمارها وتؤتي أكلها، وتأتي على أمانيها مع الأيام ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾.

• التعامل مع الناس مسؤولية عظيمة بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وعلى كل عاقل أن يفطن لهذه المسؤولية، ويقوم بواجبها قبل لقاء الله تعالى، وإذا أردت أن تعرف خطر هذا، فتأمل هذا الوعيد (ويل) في بداية السورة، ولم يستفتح الله تعالى به إلا في سورتي الهمزة والمطففين، وكلاهما في حقوق الآخرين.

• (ويل) للمتشدِّقين بالأعراض! العابثين في الحقوق! المتسلقين على عورات الآخرين ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

• يصوم ويصلي ويتلو كتاب ربه ويتصدق، ثم يأتي مجالس الفراغ ليضيعها كلها في لحظة غفلة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ وقد تراه

يعدد، ويصنِّف، ويمدح، ويذم في أعراض المصلحين، ثم إذا التفتَّ إليه قال: المصلحة تستدعي هذا الكلام. سوء فقه وساعة خذلان ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

• لا يُعنى القرآن الكريم في العادة بالأشخاص! وإنما يركِّز على الفعل الصادر ويقوِّمه، وهذا الأصل في المنهج؛ إذ لا فائدة من ذكر الأشخاص، فإنهم يزولون مع الأيام، وإنما المقصود الفعل الحاصل، وكيف ينظر له الإسلام ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ توعَّد على الفعل وأهمل ذكر الفاعل.

• رحمة الله تعالى، وشفقته بعباده، فإنَّ الله تعالى لم يتعرَّض لأحد بشخصه في القرآن الكريم إلا في قصة أبي لهب، وقد بلغت عداوته لدين الله تعالى ما يمكن أن يكون درساً بيِّناً لغيره، وما عدا ذلك أُغفلت الأسماء المعارضة مع شدة كرهها وعداوتها للإسلام وتعويقها لطريقه رحمة بهم وشفقة عليهم لعلهم يعودون في قادم الأيام. وعلى الدعاة والمصلحين أن يتجنبوا الأسماء قدر وسعهم مهما بلغ جهدها في الباطل، فلعل منهم عائداً في قابل الأيام، وما يدريك..! وفي هدي النبي ﷺ: «**ما بال أقوام..!**».

• الإسلام أكبر من أن يخلق عداوات له في الطريق، وأكبر من أن يذكر أشخاصاً بذكر أعمالهم المعارضة، وإنما يسير وفي نظره أن هؤلاء جزء من السنن الإلٰهية التي يجب أن تأخذ حظها، وفي النهاية تزول ويمضي الإسلام شاقاً طريقه لا يلتفت إلى المعوقين. وهو منهج للدعاة

والمصلحين ألا يقفوا على ترديد بعض الأسماء المناهضة، فيصنعون لها زهواً في الباطل وهم لا يشعرون.

• حين تكتب كتاباً فضع في ذهنك أن تكتب حرفاً قادراً على الصمود والبقاء والتأثير مع تطاول الزمان، وألا تكتب محبوساً في واقعك لغةً وأثراً، فإن ذلك يعيق أثر حرفك، ويتجاوزه الزمان، وإذا قرأت خطاب القرآن كله، وهذه السورة منه بالذات أدركت معجزة هذا الكتاب في البقاء حيًّاً إلى قيام الساعة، تراه تحدَّث عن المفاهيم والأفكار وترك الأشخاص لذلك المعنى الكبير.

• (الهمز، واللمز) الهمز: عيب الناس والطعن فيهم بالفعل؛ كالإشارة والتمثيل ونحو ذلك، واللمز: عيبهم والطعن فيهم بالقول، وهي من رذائل الأخلاق التي يجب أن يتنزه عنها الكبار والفضلاء، وهي دليل على رقة دين صاحبها في الواقع، وهذا الوعيد من الله شاهد على سوئها. وأيًّا كانت صورة هذا القول والفعل فهو داخل في الوعيد، وفي قول الله تعالى: (لكل) ما يدل على ذلك.

• غالباً لا تأتي هذه الأخلاق إلا من متكبر! وعقدة العلو التي يصاب بها بعض الخلق تجعل الإنسان في مثل هذه المنازل الخطيرة، وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ ما يدل على ذلك.

• الحياة دَين! ومن ابتلي بأعراض الآخرين ابتلاه الله تعالى، ألا ترى هذا المشغول بأعراض الآخرين ابتلاه الله تعالى بنقائص البخل

والشح، فيطارده همُّ المال في كل لحظة، ويستفرغ أيامه في حساب عوائده كل حين ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

• المال من أكثر أسباب الانحراف في حياة الناس! فغالباً ما تُذهب سكرته عقل الإنسان وبصيرته، وإذا كثر طال معه الأمل ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

• حرمة المؤمن؛ ترى هذا الوعيد العريض فيمن تعرَّض له هامزاً أو لامزاً، فما بالك بمن تعدَّى على عرضه أو ماله أو نفسه! ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

• أثر الكلمة؛ وكم من كلمة أعاقت حركة إنسان في الواقع! إن الكلمة السيئة تمثِّل أثراً نفسيًّا خطيراً في قلب من يتلقاها حتى لو كانت في صورة مزح عارض. وكم من كلمة أطاحت بإنسان وأعاقته دون وعي ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

• الكبر لا يأتي عادة إلا من الغفلة عن لقاء الله تعالى، وقلَّ أن تجد متكبراً إلا وهو معتدٌّ بنفسه غير آبه لآخرته، وفي قول الله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ ما يبين عن هذه الحقائق.

• من سوء التوفيق لإنسان أن يهبه الله تعالى نعمة ثم يذهب يعارض بها شرع الله تعالى! ترى هذا في نعمة هذه الجوارح التي يهبها الله تعالى لعبده ثم يذهب يتخطى بها على أعراض الآخرين، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ**

الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ: **«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»**. وتراه في هذا المال الذي يمنحه لإنسان ثم يزيد في كبره وسوء عاقبته وخذلانه.

• دحض الشبه والظنون الخاطئة منهج من مناهج القرآن ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ أحد الظنون الخاطئة التي جاء القرآن باجتثاثها من فكر أصحابها، وما أكثر الأفكار التي تعلق بعقول الناس في كل زمان، وإذا لم يُنتبه لها وتوضع لها الحلول الكفيلة وإلا كانت سبباً في انحراف صاحبها عن الطريق.

• حين تريد علاج مشكلة من المشكلات المتفشية، فعليك أن تصف هذه المشكلة وصفاً دقيقاً ثم تتولى عرض أسبابها، ومن ثم نتائجها وأخطارها في الواقع، وهذه السورة أتت على كل ذلك، وصفت المشكلة، وأبانت عن الأسباب، ثم ختمت بالنتائج ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

• رقابة هذا الدين على كل شيء؛ تراه هنا يرصد حركة لسان الإنسان ويقوِّمها، ويبين عن أخطارها، ويهدد صاحبها بالخلاص منها قبل الفوات ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

• الجزاء من جنس العمل؛ هذا الذي لم يكترث بالناس كان جزاؤه النبذ وعدم الاهتمام ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾.

• سوء عاقبة ما ينتظر هؤلاء بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ لو كان للطامسين في أعراض المخلوقين عقول!!

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾.

• هدم الأصول (فكرة قديمة) لدى الأعداء، وهذه الهجمة على سنة النبي ﷺ اليوم بضعة من فكرة أبرهة في قصة هدم الكعبة (وما أكثر من هم مثل أبرهة في زماننا..!) لقد رأى أبرهة أنه لا حيلة لإيقاف زحف الدين وتمكنه من قلوب الخلق إلا بإزاحة الأصل الذي تتهادى إليه قلوب المسلمين من كل مكان، فسيَّر جيشه الكبير لتحقيق هذه الأمنية، وذات الفكرة اليوم تتجدَّد في عقول الأتباع، فيجهدون في هدم وتشويه أصول المسلمين (الكتاب، والسنَّة) في صور كثيرة تتجدَّد مع تجدد الواقع من أهمها: التركيز على المتشابه، وإثارة نقاط الخلاف، ومعارضة النصوص ببعضها، ونحو ذلك مما هو ظاهر في عصرنا، ولا يحتاج إلى

كبير تنبيــه، وقد حفظ الله تعالى بيته ورد عدوه بنفســه، وكتاب الله تعالى محفوظ بوعد الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ومثل ذلك ســنة نبيه ﷺ فقد هيَّــأ الله تعالى لها من عبــاده من يحررونها ويصفُّونها مــن كيد هؤلاء، ومــا زالت معينــاً صافياً يتأبــى على جهود المغرضين. وفي هذا المعنى من بقاء الإسلام ما فيه.

• علــى الأمة أن تــدرك أن أعظــم أصولها، ومقدراتهــا (الكتاب، والسنَّة) وليس لدى أي أمة في الدنيا قيمة كبرى كقيمة هذه الأصول في هذه الأمة، ولن يضر الأعداء ويأتي على كل أفكارهم مثل هذه الأصول، فعليها أن ترعاها، وتوليها الاهتمام من خلال الدراسة، والبحث، وتوجيه شــباب الأمة واللامعين إلى التخصــص فيها، والإمعــان بالقدر الذي يجعلها حية في قلوب أفراد الأمة.

• إذا تأملت واقعك جيداً، رأيت المنافقين والأعداء كل مرة يغيرون على أصل من الأصــول ويثيرون خلاله الشــبه، وكل ذلــك من أجل إسقاطه من قلوب المســلمين، وكم مرة أغار عليهم الوحي، وبدد تلك الخطط، وأجهض تلك المشاريع.

• حاولوا أن يســمعوا صوت المرأة الناعم فردَّ عليهــم القرآن واعظاً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وجهدوا أن يســتلذوا بجســدها، ومفاتن الجمال فيها، فوقف لهم في عرض الطريق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحــزاب: ٥٩] وكتب مذكــرة يبين فيها حاجــة المرأة للخروج

وقضاء حوائجها، ورزق بيتها، وإعانة أسـرتها، فجاء محكم القرآن واعظاً ومذكراً ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وصنعوا لهم تمثالاً في صورة شـيخ، فخرج يرقق لهم دينهم، ويسوِّغ لهم خروج نسائهم، ويدعوهم لترك التشدد، فقام القرآن يردد: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحـزاب: ٢١] وما عداه فارموا بعمامته في وحل الطين وعظوه. فما يصنعون بهذا الوحي، كلما حاولوا أن يستدروا عواطف الناس لقضاء شهواتهم زجرهم القرآن وأنكر عليهم. إذاً لا حيلة لديهم إلا أن يرفعوا شعار إسقاط هذا الأصل الكبير من حياة الناس، ويتخلَّصوا من خصامه ونزاعه.

• كل من يؤدي دوراً في الحرمين سواء من المسؤولين، أو العلماء وطلاب العلـم أو حتى العمال، فَهُم لبنة في بنـاء هذه الأصول، ومثل ذلك المشـاريع التي تُعنى بهـذه الأصول؛ كمشـروع (تعظيم بيت الله الحرام)، أو مشـاريع (التدبر لكتاب الله تعالى)، ومشاريع (حفظ السُّنَّة وتعليمها) مشـاريع مباركة، وهـي ترعى أعظم أصـول الدين وقضاياه الكبرى، فينبغي أن تشجع، ويدعى لأصحابها حتى تأخذ دورها الكبير في الواقع.

• الكعبـة بيـت الله تعالى، وقـد تولَّى الدفـاع عنها، ولـم يكلها لمخلوق، وفي ذلـك من الإجلال والتعظيم لها ما فيـه، وكل باغٍ على بيت الله تعالى فهـو متوعَّد بالعذاب، وإذا كان هـذا واضحاً في اعتداء أبرهة، فهو كذلك جارٍ في أي اعتداء سواء كان حسيًّا أو معنويًّا.

• لن تفلت يد السارق في الظلام، وصاحب الفاحشة في الزحام، ومروجي الفتنة في أي مساحة من مساحات الحرم من رقابة الله تعالى، وكل ستجري عليه سنة أبرهة، وتجري عليه أحداث السنن بإذن الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

• إذا كان الله تعالى تولَّى حماية بيته، والذود عنه، وإيقاف زحف الباغين إليه، فكيف بالمؤمنين الصادقين في الطريق! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] وعلى قدر إيمان الإنسان وصدقه وإقباله ومحض إخلاصه تأتي هبات التوفيق إليه من كل مكان.

• عناية الله تعالى برسوله ﷺ، وتأييده، وحبه، وتشريفه ترى ذلك من خلال الإغراء برؤية تلك الحادثة والاغتباط بمشاهدها، وما صنع الله تعالى فيها من نصر لنبيه ﷺ، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كأن الحادثة صورة حية مشاهدة لحظة تنزُّل السورة مع أنها وقعت قبل المبعث بزمن طويل و﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ تأكيد على تلك العناية حتى كأنه ربه وحده دون غيره.

• الإسلام دين الله تعالى! وهو المتكفل بنصره وتأييده، حين لا يكون للحق نصير يقف في وجه الطغيان، فإن الله تعالى يتولَّى نصر دينه والدفاع عنه، وهذه الواقعة دليل على هذا المعنى الكبير.

• العاقبة لدين الله تعالى؛ إن ديناً ظل حيًّا من آلاف السنين على قلة معين قادرٌ بتوفيق الله تعالى أن يبسط آفاقه على كل شبر من الأرض،

ويمضي يكتب تاريخه في العالمين رغم أنوف الحاقدين. مع كل هذه الصور التي نرى فيها الباطل يستنفر قواه، ويستعين بقوى الأرض في مواجهة هذا الدين علينا أن نؤمن أن النصر لدين الله تعالى، وإنما يبتلي الله تعالى عباده لحكم جليلة ومعانٍ كبيرة في عرض الطريق.

• عظيم قدرة الله تعالى؛ ترى ذلك في تصدِّيه لهذه الحشود من خلال طير صغيرة، وعاقبة المعذبين فيها جليلة كبيرة! وما ناظر إلى هذا الحدث بعين البصيرة إلا وهو مدرك مظاهر تلك القدرة من أبسط طريق.. إنَّ الذي تولى التصدي لهؤلاء بعض جند الله تعالى، طير في أفق السماء، وترك من العواقب ما يفوق تصوُّر كل بصير.

• إقامة الحجة على كل معارض، ترى هذا الإمهال والإمداد لهذا العدو وهو يكيد لبيت الله تعالى حتى يصل إلى المكان ذاته. إن الله تعالى يمهل كثيراً، وكم من معرض معارض أطال الله تعالى له في زمن الإمهال حتى إذا ما أصرَّ على الطريق لقي عواقب الخذلان.

• إنَّ جند الله تعالى أكبر من أن تحصر! وما أكثر جنده تعالى في الكون! وما أجهل الإنسان بها في واقع الحياة! من كان يظن أن طيراً صغيراً يتولى تلك المهمة الكبرى! وفي كل حادثة يأتي جند آخر يدير رحى المعركة ويكتب فيها مشاهد الخذلان على العدو من جديد.

• سوء عاقبة المعصية، وخطرها على أصحابها، وعاقبة شؤمها في حياتهم، وليس أدل على ذلك من منظر الطغاة وهم صرعى على الأرض بعد أن كانوا في أنعم حال، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ ولـم يقل (ماذا فعـل) كأن الصورة لهولهـا تحتاج إلى إمعان نظر وتفكير! من قال إن فرداً أو قوماً توردهم المعاصي إلى هذه المشاهد الكبرى من الهلاك؟!

• إن الله تعالـى يمهل ولا يهمل، يمد للظالم أمـلاً طويلاً، وحين يصر على ورود موارد الهـلاك ويأبى إلا الطغيان يريه الله تعالى عواقب الإمهال. كم عاش هؤلاء على الكفر! وكم قطعوا من المسافة إلى مكة في أمن! وفي النهاية كان لا بد أن تنتهي قصة الإمهال في حياتهـم، ويبدأ زمن العقاب، وفي الصحيحين من حديث أبي موسـى ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثُـمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

• غالباً لا يسـتفيد المعرضون من آيات الله تعالى وعبره! لقد رأت قريش من صـور نصر الله تعالى لدينه، وحمايتـه لبيته، وعذابه لأعدائه ما لم تره في حياتها كلها، ولم تدلهم هذه المشاهد على تعظيمه والقيام بحقه، وما زالت الأجيال المعرضـة تقرأ هذا الخبر، وتروي هذه القصة لكنها لم تلق في قلوبهم حظاً ورواجاً للذكرى حتى الآن.

• عظيم ما فـي نفوس الأعداء من كيد لديـن الله تعالى! إن خروج هـؤلاء يريدون بيت الله تعالـى ما هي إلا صورة مما في نفوسـهم من صور الكيد الكُبَّار، وكذلك كل عدو يكيد للإسلام في صور، ويترجمها الواقع لأحداث، ولذلك عبـر الله تعالى هنا بمواجهة ذلك الكيد مع أنه لم يكن إلا صورة من صوره ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢].

• ستظل مكة المكان الذي تأوي إليه أفئدة المؤمنين! لقد أراد الله تعالى لهذه البقعة في الأرض أن تبقى روحاً تسري إليها قلوب المؤمنين، فجعلها قبلتهم فلا تصح الصلاة إلا إليها، وجعلها مكاناً لحجهم وعمرتهم، وهذه الجموع المتعلقة اليوم بهذا البيت أعظم الأدلة على بقائه مهما كانت توجهات الأعداء ومكرهم وكيدهم.

• ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ رسالة إلى أن كيد المبطلين مهما تعددت صوره، وزاد عدده وعُدَّته فهو إلى بوار! كم كاد هؤلاء لبيت الله تعالى، وبذلوا كل شيء في سبيل ذلك، وفي النهاية بقي بيت الله تعالى وذهبوا عبرة وذكرى في التاريخ.

• إذا أردت أن تتعرَّف على بعض قدرة الله تعالى في المجرمين، فتأمل صورة تلك الأفواج العازمة على هدم بيته، وتكسير جدرانه، وتشويه صورته كيف كانوا في آخر المطاف! ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ وتحولت في النهاية صور البغي والعدوان إلى صور زرع محطَّم ممزق متناثر في مساحات الأرض. ولله تعالى الأمر من قبل ومن بعد.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾.

• ظل هذا البيت وما يزال مكاناً للأمن والطمأنينة والسكينة والرخاء حتى حين انحراف الناس عن الحق، وإشراكهم بالله تعالى، وعبادتهم لغيره، إنها إرادة الله تعالى لهذا الدين فحسب.

• كم من دعوة صادقت ساعة إجابة، فأفاضت على الأرض مباهج الربيع! هذه دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] كونت هذا الواقع المدهش مع الأيام.

• إذا أمضَّك الواقع، وكلَّت نفسك من السير، وضعف جهدك، ولاحت لك بوارق اليأس فيمِّم وجهك إلى مشاهد بيت الله تعالى ترى الحياة تجري في ربوعه كأبهج ما تكون.

• إيلاف قريش واجتماعهم على بعض ورحلتهم آمنين مطمئنين في الصيف والشتاء؛ كل ذلك أثر لنعم الله تعالى عليهم ببيته، جعلهم آمنين مطمئنين يجتمعون على مصالحهم، ويألفون الطرق إليها وفيها كل حين ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾.

• (الوحدة والاجتماع والائتلاف) في أي أسرة أو مجتمع أو دولة أو أمة نعمة، يجب أن تأخذ حظها من الشكر والعرفان! فإن الله تعالى يذكِّر قريشاً بهذا المعنى ويدعوهم لعبادته لهذه النعمة الظاهرة عليهم في ذلك الزمان ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ وعلى كل مسؤول أن يرعى هذا المعنى الكبير حتى تأخذ الحياة واقعها الكبير في مستقبل الأيام.

• من سنن الله تعالى أنه إذا أقام مسؤول، أو جماعة، أو أمة قيم الأخلاق من العدل، والإخاء ونحوهما أقام الله تعالى لهم واقعهم، وأصلح شأنهم، ويسر لهم سبل الفلاح والتوفيق، ترى ذلك في هذه المكانة التي وهبها الله تعالى لقريش بين العرب، وأمَّنهم من عدوان المعتدين، وغارات المغيرين نظير حفظهم لهذه الأخلاق، وقد ذكر ابن عاشور جملة من أخلاقهم وتعاونهم، وقيام غنيهم على فقيرهم حتى قال قائلهم:

يا أيها الرجل المحوِّل رحله ... هلَّا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العَهد من آفاقها ... والراحلون لرحلة الإيلاف
والخالطون غنيهم بفقيرهم ... حتى يصير فقيرهم كالكافي

ويقابل هذا المعنى انتشار فوضى الظلم، والبغي، والعدوان في حياة مسؤول أو مجتمع، أو دولة، أو أمة مؤذن بسوء حالها، وخراب واقعها

مع الأيام، ولذا قال ابن تيمية رحمه الله: (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة).

• العبادة أعظم معاني الشكر، إن الله تعالى ذكَّر قريشاً بموفور نعمه عليهم، ودعاهم إلى القيام بشكرها عن طريق عبادته ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾.

• ليست العبادة صور تتكاتف عليها الأمة وتحييها ظاهراً فحسب، العبادة قيام بأوامر الله تعالى والوقوف عند حدوده، وتعظيم شعائره ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ وفرق بين شكر يردده لسان على خلاف العمل، وشكر يكون في صور من الإجلال لشريعة الله تعالى، والقيام بحقوقها، وتعظيم شأنها في كل شيء.

• هذا بيت الله تعالى، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ دليل على مكانته الكبرى، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «**فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَه اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِن نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا**». وبيت بهذه المكانة حقيق بالإجلال والتعظيم! وإذا هيأ الله تعالى لك زيارته فتذكَّر أنك في مدارج الشرف والتكريم، فليقم بقلبك ما يفيض على جوارحك من التعظيم والتكريم والإجلال.

• منَّة الله تعالى على هذه البلاد بهذين الحرمين! وما من مجتمع أو أمة اليوم تلقى تشـريفاً كوجود هذين المعلمين بها، وهي شرف، ومن توفيق الله تعالى لحكامها ومسؤوليها القيام بواجبها الحسي المتمثِّل في توسـعتها، وتهيئتها بكافة وسـائل الراحة الممكنة، وتمكين المتعبدين منها في كل وقت، والمعنوي في القيـام بواجب الدعوة لهذا الدين في أقطار الأرض، وتبني كل ما من شـأنه مد مساحة الإسلام في العالمين ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ وهذا جزء من العبادة المشـار إليها في ثنايا هذه السورة.

• لا يمكن أن تكتمل نعمة الأمن في حق إنسان أو مجتمع أو دولة أو أمة في ظل الجوع، ولا يمكن أن تأخـذ نعمة الطعام حقها في زمن الخوف. فإذا جمـع الله تعالى بين النعمتين لفـرد أو جماعة، فقد امتنَّ عليهم بأعظم النعم ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

• إذا أردت أن تعرف قـدر نعمة ربك عليك، فتأمـل هذه الأرزاق التـي تجلب إليك مـن كل مكان بأرخص الأسـعار وأقـل التكاليف ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

• أما رأيتم ذلك الذي ينام في عرض الطريـق ولا يوقظه من نومه أحـد؟ تلك بعض نعـم الله تعالـى الوارفة في هـذه البلاد! ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

• مشكلتنا أننا تعايشنا مع النعم للدرجة التي لا نشعر بوجودها إلا حين الذكـرى ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ كم من

مشرَّد في هذه اللحظة عن دياره، وفاقد لأسرته وأهله وأقاربه، وينتظر منن الآخرين، وأنت تأكل وتشرب وتنعم في وارف الأمن.

• بقاء النعم مرهون بالوعي بها أولاً أنها نعمة، وبالقيام بحقها من اعتراف وشكر قولي وعملي في حياة كل إنسان ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾.

• كثيرون يتحدثون عن الأمن ويروجون لفكرة الحفاظ عليه، وهم في الوقت ذاته الذين يسعون في تقويضه وإسقاط نظامه من خلال عدم قيامهم بحقوق الله تعالى، وجرأتهم على سرقة مقدراته وتقويض أمنه من خلال البغي والفساد ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾.

• كم مرة أضج آذاننا من الولاء لوطنه، وهو الذي يقيم زواج أولاده على المنكرات، ويشيع الرذيلة، ويمد في وحل الفساد ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾.

• إذا أصبح باكر يومه كتب لنا عموداً في فقه الأمن، وسطر لنا نظماً وشعراً في وعي المسؤولية، وإذا استوى في قناة حدَّثنا عن نعمة الأوطان، وإذا فرغ من كل ذلك نافق، واختلس، وسرق، وصنع للعورات مساحات ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾.

• كل المفسدين في الأرض أيًّا كانت صور فسادهم هم جزء من خصوم النعم في أوطانهم، نسوا أن كل ذلك فيض الكريم المنان ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾.

• إذا استطعنا أن نوقف زيف النفاق، ومساحات الفسق والفجور في أي رقعة من الوطن، فقد بنينا نصف المسافة إلى أحلامنا فقط. لم يبق بعد ذلك إلا نصف البناء الآخر، وهو أقرب ما يكون للكمال ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

• الإسلام كما هو علاقة بين الخالق والمخلوق هو كذلك علاقة مع المخلوقين بعضهم البعض. وهذا الفصل الشائع في حياة الناس اليوم ولَّد خصومة سافرة في الواقع، فترى الحريص على شعائر الله تعالى من الصلاة والصيام ونحوها لا يتحرَّج في الاعتداء على الآخرين، وأكل أموالهم، والسطو على أعراضهم، وبخس حقوقهم، وكأن ذلك لا علاقة له بدين الله تعالى، وقد لا ينقضي عجبك من رجل يتصدق ويبذل أمواله في سبيل الله تعالى راغباً فيما عند الله تعالى، ويتسلَّط في الوقت ذاته على أموال الناس، ويأخذ حقوقهم دون أدنى حرج أو غضاضة،

وهذه السورة تؤكِّد على أن التعامل مع الخلق دين يجب أن يأخذ حقه من العناية والاهتمام.

• كل تخلُّف في حقوق الآخرين إنما هو نتيجة لتخلُّف حقيقة الإيمان الكبرى في قلب صاحبه. وقلَّ أن تجد مؤمناً صادق الإيمان عارفاً بربه إلا وهو يقوم بحقوق الآخرين، وفي قول الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ ما يؤكِّد ذلك ويبينه، فلولا تكذيبه بحقيقة هذا اليوم لما وقع في آثار ذلك.

• يؤمن بيوم الدين ويناكف يتيماً على حقه! لا تلتقيان في طريق إلا في الدين الذي نردده على ألسنتنا ولا نتمثله في واقعنا، وما أكثره في مثل زماننا! ما لم تختلط معاني هذا الدين بنفوسنا ومشاعرنا وقلوبنا وإلا تحوَّل إلى صور لا علاقة لها بالحياة.

• جمال هذا الدين أنه ليس صورة خاصة بالمسجد، وإنما منهج حياة يأتي في كل شيء، وينظِّم له شأنه، وحدوده، وحقوقه، وواجباته، وكل من يقرأ الإسلام بوضوح لا يملك إلا أن تصيبه الدهشة على هذا الكمال والجمال الذي يأخذ بالألباب ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

• رعاية الإسلام لحقوق الآخرين، والقيام بواجباتهم، والإنكار على التعدي عليهم بأي وجه، وتحت أي عذر ومسوِّغ، ولن تجد ديناً أقام للإنسان كرامة ظاهرة كالإسلام ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

• رعاية الإسلام للضعفاء والمعوزين، وأصحاب الحاجات على وجه الخصوص والوقوف معهم، وتجريم التعدي عليهم بكل وسيلة، ومناصرتهم حتى يعيشوا كما يعيش غيرهم سواء بسواء، حتى إن الإسلام جعل جزاء كفالة اليتيم وعونه على العيش رفقة النبي ﷺ، وجعل الساعي على المسكين والأرملة كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وأكَّد في هذه السورة على رعاية حقوق الأيتام على وجه الخصوص ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

• لن يموت فرد في مجتمع والإسلام ظاهر فيه! وإذا كان الإسلام جعل من مقتضيات عدم الإيمان بالله تعالى ترك التكافل والتحاض على إطعام المسكين، فكيف بتركه والتآزر على عدم معونته حتى يموت جوعاً! إن الإسلام جرَّم الاعتداء على هرَّة، وجعل التي حبستها حطباً لنار جهنم، فكيف بمسلم من المسلمين، وشجَّع على كفالة الأيتام في صور مبهجة ومدهشة، كما في البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئاً. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**». ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

• لا بـــدَّ أن يكون الإحســـان إلـــى اليتيم في أجمل صـــوره وأرقى معانيه، ومهما بلغت قيمة الإحسان إذا لم تأت في صورة رحمة وشفقة وود ورجاء فضل وبر، وإلا قتلت ذات الإحســـان وكفنته قبل ورود أول صـــوره على قلـــب ذلـــك المحتـــاج ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

• عظيم شـــأن التكاتف، والتعاون، والتآزر على مصالح المسلمين! وما تقوم بـــه الجمعيات الخيرية مـــن واجب تجاه هـــذه الفئات حقيق بالإجـــلال والتقدير، وقد يرفعون الإثم عن الأمـــة في واجب كفائي قد يلحقهم الإثم بتركه بالكلية ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

• من أســـوأ الصور في حياة إنســـان أن يمســـك مالـــه عن هؤلاء المســـاكين، ويقف بخيلاً به عـــن مواقف الجود والإحســـان، ثم يقف يشكك في جهود الباذلين والعاملين والكافلين! وهي صورة تدلك على عظيم حرمـــان هؤلاء مـــن التوفيـــق ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

• فرق كبير بين الإسلام وهو يشـــرِّع حقوق الإنسان ويجرِّم الاعتداء عليها، وبين منظمات حقوق الإنسان التي تشرِّع أنظمةً لغاياتها وأهدافها، ثم ما تلبث أن تعبث بها وقت حاجتها ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

• الفرق بين الإسلام وغيره من الأنظمة في حقوق الآخرين أنه يجعلها ديناً وعبادة ومسؤولية فيما بين الإنسان وربه ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ وغيره من الأنظمة تجعلها حضارة ومسؤولية دولية تُعنى بالحريات وتخاصم من أجلها فحسب، وقد تخون باسم تلك الحريات في الوقت ذاته.

• كم من معاملة في المحاكم لم تنته بشأن إرث اليتامى، لا لضعف النظام وإنما لجشع الوكيل الذي يرتِّب للاستمتاع بأموالهم في شأنه الخاص ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾.

• لم يوزِّع الأراضي الزراعية بين الورثة، أبقاها كما هي دون قسمة، وتولَّى بنفسه حرثها وزراعتها والبيع والشراء منها، واليتامى يموتون جوعاً ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾.

• كم من يتيمة خلَّف لها والدها إرثاً وضاع في عادات الجاهلية وتقاليدها، فلا ترث المرأة شيئاً في المجتمعات الجاهلية ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾.

• الصلاة أعظم أوامر الله تعالى وشعائره بعد التوحيد، وهي الفريضة التي جرى وجوبها في السماء بخلاف غيرها من الفرائض، وهي أول سؤال يُسأله العبد بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وهي وصية رسول الله ﷺ في آخر حياته ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ وفريضة بهذا القدر تستحق الإجلال والتعظيم.

• مشكلة كثيرين أنهم يصلُّون، ولكن صورةً وشكلاً ولا علاقة لهذه الصلاة بقلب صاحبها، ولا يجري تعظيمها في قلبه ومشاعره فتأتي باردة لا قيمة لها في واقعه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ وهذا الوعيد على من يصلي ولكن بلا خشوع.

• يتأخرون عن الصلاة، ويسهون عنها ويغفلون ويأتون متأخرين، ويتعذَّرون بالنوم مراراً، ولم يحدث أن تأخروا عن مواعيد دراستهم أو سفرهم أو ارتباطاتهم، وهذه الآية تخاصمهم كل حين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

• كل شأن يقيمه صاحبه بعد الأذان، فهو إلى الخيبة والخسران أقرب منه إلى الربح والكسب ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

• أذن المؤذِّن وهم مجتمعون على فضيلة، فقام عند بداية الأذان معتذراً أنَّ كل عمل بعد هذا المعنى لا يبارك الله فيه. ما أروع الفقه! ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

• خطورة الرياء، وأنه ماحق لبركات العمل، وآت على كل خيراته، وكم من عمل كبير أخذ من وقت صاحبه وجهده وماله، وفي النهاية لم يورِّث له سوى الحسرات! ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

• كلَّما دخل في مشروع أَرْصَد لنا صوره، وبَعَثَ إلينا بمشاهده، وضبط كل شيء فيه لا من أجل مد أثره، وتمدد فكرته، كلا! وإنما

لينال حظاً عاجلاً من الدنيا، وفاته بذلك كل شيء ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

• ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ فيصورون للمشاهدين صورهم وهم مُحْرِمون، ويبعثون في وسائل التواصل الاجتماعي بصور تصريح الحج، ومواقفه ومشاهده.

• حتى وهو يطوف ويسعى بالبيت، ويدعو في عرفة، ويرمي الجمار أرصد لنا صورها، وبعث إلينا بتقرير عنها ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

• لبس إحرامه، وبدأ دعاءه، وصلى سنته وطلب من صاحبه في السفر أن يرصد كل ذلك، ثم بعث بها في النهاية إلى القراء والمشاهدين يكاثر بدينه، ويرائي به، ونسي ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

• أعان مسكيناً، ووقف بجوار محتاج، ودفع بمشروع للنهوض ثم وظَّف ذلك لصالحه، فما يجلس مجلساً إلا ويحاول جاهداً أن يبين عن ذلك، ثم يسأل الله تعالى بعد ذلك الإخلاص ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

• كم من خيرات دفع بها صاحبها لا هو الذي استثمرها في الدنيا، ولا هو الذي لقي أثرها في الآخرة! محقها الرياء ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

• في واقع اليوم ثمة خيط يسير بين صور وشعائر تعبدية مبثوثة في وسائل التواصل الاجتماعي تفصلها النية عن مظاهر الرياء، وكل إنسان في النهاية موكول إلى سريرته ونيته وما بينه وبين الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

• كل عمل لا ترجو به دعوة غيرك إلى تمثله، ونهوض فكرته، وتوسّع دائرته، فلا تضيع أثره بتصويره، ورصد أحداثه ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ ﴾.

• صوَّروه وهو يصلي، وصوَّروه وهو يدعــو، وصوَّروه وهو يبكي، وصوَّروه وهو يتصدق، ماذا أبقوا له؟! وماذا ترك لنفسه؟! يا الله كم من جهود أضاعها الرياء ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ ﴾.

• طارت في الآفاق صورة إنســان وهو يسقي حاجاً، أو يعين طفلاً، أو يقبل يد أمه، أو يأخذ بيد مسن، فتحوَّلت جماهير في الطرقات تعيد الصورة ذاتها، وتكــرِّس مفاهيمها من أجل الإعــلام. ولم يبق منها في النهاية شيء لله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ ﴾.

• من هم هؤلاء ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾! طالب علم ظن بمذكراته التي كتبها على زميــل محتاج لها، وصاحب علم لــم يقعد في رحاب مسجد أو بيت للإنفاق من علمه رغم حاجة من حوله.

• منَّ الله تعالى عليه بجاه ومســؤولية ومكانة كبيرة، ولم يستثمرها في دعم مشروع لدينه أو يخدم بها مسكيناً، أو جاراً، أو محتاجاً لها في عرض الطريق ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾.

• تغيَّب عن مدرسته لعذر، وفاته من درس المعلم، وجاء يسأل زملاءه عن الفائت، فلم يلق شيئاً يعوِّضه ذلك الغياب ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾.

• مَنَّ الله تعالى عليه بمال، واحتاج صاحبه منه جزءاً يسيراً يستعين به على قضــاء حاجته، فاعتــذر منه رغبة في كثــرة مخبوء ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾.

• معه سيارتان لا حاجة ملحة على إحداهما، وجاره وقع على سيارته حادث، ويحتاج سيارة تنقله إلى وظيفته، ولم يتمكن من مدها إليه ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

• زميل يفقه في الفرائض أكثر من زميله، وآخر فتح الله تعالى عليه في قوانين رياضية، وثالث في ضبط القرآن، ورابع في تخصص الهندسة، وخامس في الطب، وسابع وثامن، غير أن كل هؤلاء رأوا ذلك فرصة للتفوُّق على الأقران، ولم يوسِّعوا دوائر أثرهم شحًّا بما أعطاهم الله ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

• معها فستان للفرح زائد عن حاجتها، وخبأته ليلة فرح تلك اليتيمة، وهو كذلك لم يتمكن من إعطاء ذلك العريس لباساً يجد به فرحته ذلك المساء ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

• الماعون في الأصل في منع الدلو على البئر، والقدر في البيت، وهو هنا في كل شيء منحك الله تعالى إياه، وهو زائد عن حاجتك، ويمكن أن تدفعه لمحتاج أو تعين به آخر، فإياك أن تكون ضمن عداد هؤلاء المتهمين ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾.

• هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ كما هي الشرح والضحى، وفي هذا من الإيناس له ﷺ، والاحتفاء به، ورعايته من كيد المعارضين ما فيه، وحظ كل مصلح من هذه الرعاية حظه من القيام بواجب الحق والرسالة والدعوة، واقتفاء أثر نبيه ﷺ في النهاية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ دليل هذا المعنى البهيج.

• ما ألطف رعاية الله تعالى لصفيه وخليله! فقد تولَّى الرد على أعداء صفيه بنفسه، وبين له شرف هذا الكوثر، وأنه عطاء؛ فكأنه ملَّكه إيَّاه يتصرَّف فيه كيف شاء، وصيغة الجمع ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ تحمل دفئاً في ثناياه عظمة المعطي ومكانته، حتى إنه ﷺ فرح بهذا وسر غاية السرور، وضحك حتى بدت نواجذه عليه الصلاة والسلام،

وهذه المعانـــي وإن كانت خاصة به ﷺ إلا أنها عامـــة لكل المصلحين ممَّن هم على طريق الأنبياء.

• ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ في مواجهة كل العواصف التي تدار حولك، والأحداث التي تختلق في طريقك.

• ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ يكفـــي هذا العطاء أنه بـــدأ بـ: «نا» الفاعلين واختتم بكاف التمليك. نحـــن الذين نعطي وأنت الذي تملك بعد عطائنا كل شيء.

• فعـــلاً الموصول من وصلـــه الله تعالى، والمحـــروم من حرمه الله تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾.

• ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ فهل يســـتطيع أحـــد في الأرض من هؤلاء رغم قوتـــه أن يمنع عطـــاء الله تعالى إليك! مســـاكين لم ينفعوا أنفسهم فكيف يمنعون غيرهم؟!

• إذا رضـــي الله تعالى عنـــك أعطاك كـــل شـــيء ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ وإذا حرمك لم يبق لك أي شيء.

• رأس مواجهـــة الباطـــل وقاعدتـــه العمـــل الصالح ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ دعـــوة إلى عدم الالتفـــات للناعقين عليه ﷺ، والانشـــغال بالعمل الصالح فـــي مواجهة ذلـــك الكيد العريض، وهـــي دعوة لكل مصلح إذا وقف له الأعداء في الطريق، وحاولـــوا أن يحولوا بينه وبين

الحق الذي يحملـه أن يمضي إلى ربه من خـلال العمل الصالح، وأن يتعلَّق بربه تعالى، فإنه كافيه تلك العوائق مهما بلغت.

• قيمة أوقات المصلحين كبيرة، ويجب ألا يستفرغ ذلك الوقت في المعارك الجانبية مع العدو، وأن يستثمر في الصلة بالله تعالى، والتوجه والتضرع إليه، وفي ذلك من التقوِّي علـى العدو، والتحصن منه ما فيه ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ إن الانشـغال بالعـدو، والرد عليـه في كل ما يطرح، والتصدي له في كل صغيرة وكبيرة ليسـت من شـأن الكبار، وسـتذهب أوقـات كثيرة على حسـاب الصلـة بالله تعالـى، ونضوج المشروع، واكتمال بنائه، فعلينا أن نستثمر الوقت غاية الوسع فيما يكون أعود على المشروع من هذا الخصام السافر على أشياء هامشية.

• ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ دعوة لإدارة الأولويات: إنَّ ثمة أشـياء كثيرة تواجه النبي ﷺ، ويحتاج فيها إلـى توجيه، فوجَّهه الله تعالى إلى أهم عمل وأولاه في تلك اللحظة، ودلَّه على طريق العبادة والصدق فيه والإخلاص له؛ فالانشـغال به وقت الخصومة أولـى وأفضل وأهم من الانشغال بغيره.

• أثر الصدق والإخلاص في نجاح المشاريع، والنصر على الأعداء ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ في مقابل الكيد، والاستهزاء، والسخرية التي يلقاها ﷺ في طريق الدعوة، ولا علـى الكبار من هذه الأوهام العارضة إذا صدقت النيات وصلحت الأعمال! إنها دعوة عريضة للتجرد لله تعالى رغم كل عقبات الطريق العارضة.

• الشكر قيد النعم، وما قيدت نعمة بمثل شكر الله تعالى! وقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ دعوة لشكر العبادة، والقيام بحقها في مقابل العطاء الكبير والخير العميم الذي أعطاه الله تعالى. وعلى العاقل أن يعرف قدر نعم الله تعالى، ويعلم كذلك أن دوام هذه النعم معقود على قدر شكرها والقيام بحقها. وما ولَّت نعمة عن صاحبها بعد وصولها إلا لنكران لها أو عدم قيام بحقها.

• المصلحون وصنَّاع الحياة وحاملي رايات التغيير يدركون كم هو أثر هذا المعنى في الطريق ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾.

• إذا أقلقك واقعك، وأدمى مشاعرك الانتظار، فتوجَّه إلى محراب مسجدك، وأقم الحياة في واقعك من جديد ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾.

• قبل أن تخوض معركتك في الواقع اشحذ قلبك في محراب مسجدك، وأَرِقْ دماء الجزور قربةً لربك ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾.

• المسجد هو بداية الثورة الفعلية، ثورة الروح التي تضخ في جسدك كل شيء ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾.

• عظم أثر الصلاة في واقع صاحبها ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ حين تنداح العقبات والمشكلات والأزمات في واقعك فليس لها إلا محراب مسجد! يمِّم فيه الإنسان وجهه إلى ربه، ويقبل عليه ليبث شكواه، وينزل به حاجته، ويروي له قصة تلك المشكلات التي لاقاها في طريق مشروعه.

• إن الله تعالى يدعو نبيه ﷺ وقت هجوم الأعداء، وتطاول السفهاء، وعقبات الطريق أن يقبل مخلصاً للصلاة لتنقشع كل تلك الغيوم.

• لا ينبغي أن يتحول مقصود عباداتنا إلى قضاء حوائجنا الشخصية، فالعبادة أرفع من هذا المعنى بكثير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ ۝٢﴾ لا لقضاء حاجتك، وانتهاء مشكلتك، وانقشاع همومك وأحزانك. بل ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ ۝٢﴾ وهذا المعنى يأتي على كل ما تريد من آمال وأحلام.

• سنن الله تعالى ثابتة لا تتغيَّر، ولن يقف الدعاة والمصلحون يدأبون في طريق الدعوة آمنين في الطريق، سالمين من المعارضين، خالين من الشبه والتهم التي تكدر سيرهم، وتعترض طريق دعوتهم، ولو صفا لأحد طريق لصفا لمحمد ﷺ، لكنها السنن!

• العقبات جزء من نجاح أي مشروع! وعلى قدر مشروعك وأثره في الواقع تأتي العقبات العارضة في الطريق. إن الإسلام ماضٍ إلى طريق النصر الكبير دون توقف، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ما يبيِّن ذلك. لقد مضى يشق الطريق أيام قلة المعين والنصير، ومضى غير آبه بأعباء الطريق وما زال، ودين استطاع أن يقف صامداً أمام تلك الأيام قادرٌ أن يمد في طريق النصر والتمكين. لقد كان الأمس شاهداً على أن المناوشة كانت بين صاحب الحق وحده، وأصحاب الباطل مجتمعين، ومضى يشق طريقه باقتدار، واليوم وإن كان الباطل كبيراً فالحق برجاله كثرة، وهم قادرون بإذن الله تعالى على الوصول إلى نهايات الطريق.

• ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] هذه هي الحقيقة التي تقررها سورة الكوثر في نهاية المطاف

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ كم بين دعوى تلك التهمة لرسول الله ﷺ أنه أبتر، وبين هذه الحقيقة التي تملأ الأرض اليوم! كم بين وعد الله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ وهذه اللحظة! وهكذا كل باطل فإنه إلى زوال، والحق أكبر من أن يقف لقطاع الطريق، وأهل الباطل مهما كان لهم من السلطة والقوة والقدرة على الوقوف أمام قوة الحق إلا أنهم في النهاية إلى زوال.

• ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ يوقظك في عتام الليل يخبرك أن سيل الفأل قد حلَّ؛ فما لك ولليأس!

• ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ حتى لو كان فرداً، وجماعة، وجيشاً مدججاً بالسلاح، وقوة عالمية.

• ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ حتى لو كان العالم كله في صف العدو مقابل الحق الوحيد.

• إن مشكلة الأعداء الكبرى ليست مع المسلمين، وإنما مع دينهم، وكل من يحمل دين الله تعالى، ويسعى به في العالمين، فسيلقى من الكيد والصد والعدوان شيئاً كبيراً، وليس هذا لذاته، وإنما لأنه يحمل المشروع الذي يغيض به الأعداء.

• سَفَهُ هؤلاء الأعداء! إنما كانوا يعيِّرون النبي ﷺ بالأبتر بالنظر إلى ولده وأنه لا يبقى له عقب، ونسوا أن الولد جزء من تلك المشاريع الكبرى! كم بين ولد ظلَّ عقبة كَأْداء في طريق والده، وربما تعثَّر

مشـــروع والده زمناً من أجل عقباته ومشكلاته، وبين مشروع ظل يُسقى قبره من لا ولـــد له وما زال!. إن الحياة تكبر وتتوســـع بقدر مشـــاريع صاحبها. وكم من مشروع كان أثمن من أولاد الدنيا كلهم!

• الرد على الأعداء فن! إن الله تعالى افتتح الرد على هؤلاء ببشـــارة تأخذ بقلب نبيه ﷺ، وتكفيه إحباطات الواقع، وجراح المشـــاعر، ومشقة الطريق. لا عليك من كل ما يقال لك فنحن راضون عنك، شاكرون لك، واهبون لـــك الكوثر. ماذا بقي لك! وماذا تنتظر! قم إلى مشـــروعك فما ينتظرك عند الله تعالى أكبر من هذه العقبات التي تعترض طريق ســـيرك، ورحلة مشروعك في واقع الأرض. كانت هذه البشارة كافية في إزاحة كل العقبات التي تعترض ســـيره ﷺ. كانـــت كافية في مســـح كل الأحزان، والآلام، والمشكلات، وهيشات السفهاء! وفي الخاتمة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾.

• ﴿قُلْ﴾ دليل على أن مسألة الإيمان بالله تعالى، وترك عبادة ما سواه من محكمات العقيدة، ومسلمات التوحيد، وليست مجالاً للاجتهاد والتشهي.

• تجديد الرسالة، وأنَّ النبي ﷺ رسول الله تعالى إلى الخلق، ويبلغ ما أمره الله تعالى فحسب، و﴿قُلْ﴾ دليل ذلك.

• الحق أكبر من أن يتسوَّل المعرضين والكافرين في منتصف الطريق، وهذه المفاصلة التي يصنعها النبي ﷺ بالقرآن في بواكر تاريخ الدعوة رغم الحاجة إلى المهادنة دليل على قوَّة سلطان الحق مهما كانت الظروف التي تحيط به ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾.

• مسـافة طويلة بين الحق والباطل، ولا سبيل للتلاقي في منتصف الطريق. ولا يمكن أن يُبْنى الحق على شـيء من الباطل. وكل من ظن أنَّ هناك نقطة يلتقي فيها الطرفان فقد وَهِمَ، وقول الله تعالى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ دليل هذه المفاصلة الكبرى.

• وصف الإنسـان بما هو فيه منهج شـرعي، وقد وصف الله تعالى القوم هنا بالكافرين، وهو وصف مطابق لما هـم عليه تماماً، وكل ملة ليس لها حظ من هذا الدين فهي ملة كفر، وأهلها كافرون، وكل دعوى تخالف هذا المعنى، فهي دعوة جاهلية لا علاقة لها بالشـرع في شيء ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾.

• ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ هـذا وصفك، ولكـن لا يعني هذا ضياع حقك، وسفك دمك، ونشـوء الخصومة معك. إن رأيت هذا في مشهد، فذلك من خلل المفاهيم.

• يجـب علينا بلاغك، ولسـنا مسـؤولين عن قيـادك إلى حياض الفضيلة ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

• لا تضاد بين بلاغ الرسـالة، ووصف الإنسان بما فيه، فقد خاطب النبي ﷺ هذه الأمة بمنهج الله تعالى بما فيه من وصف كاشـف لحقيقة القوم، وكان مثالاً في الوقت ذاته علـى الرقي الأخلاقي الكبير، وليس بين الدعوة والأخلاق تضاد، ولم ينشـأ التنازع إلا في أوسـاط تختلط عليها مفاهيم هذا الدين وأهدافه الكبرى.

• بيان حقيقة الكافرين، وأنهم متمسكون بعقيدتهم الباطلة، غير قابلين للتفاوض من أجل الوصول للحقيقة مطلقاً، وهذا في الأعم الأغلب، وإلا ففي أفرادهم غير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ برهان ذلك ودليله.

• بناء المفاهيم والتصورات حقيقة ضخمة يجب أن تأخذ حقها من أوقات الدعاة والمصلحين، والناظر في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ يجد هذا المعنى واضحاً جليّاً. إن تحرير قضايا الكفر والإسلام ومكانتها من الشرع حقيق ببذل الأوقات والأموال. وجزء كبير مما تحرره هذه السورة هو تصحيح التصورات، وهو الذي يجب أن يأخذ حقه من الإصلاح ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

• تأكيد قضية البراءة من المشركين في نفوس المسلمين، وأنها قضية كبرى في دين الله تعالى، ولا يستقيم دين الإنسان في الواقع إلا بها، مهما بلغت المصلحة المتوهمة يجب ألا تتجاوز هذه المعاني الكبار.

إنَّ المسألة هنا مسألة عقيدة، ويجب أن تفصل من البداية، وأن يظل قلب المسلم يهتف حباً بولاء المؤمنين، ويهتف بغضاً وكراهية بالبراءة من المشركين، ولن يستقيم دين عابد لله تعالى إلا بذلك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

• خطورة الكفر والشرك على العقيدة، فقد يخرج الإنسان من العقيدة كلها بمجرد قول أو فعل، وفي لحظة من الزمن، وتكرار السورة مع سورة الإخلاص في باكر كل يوم، وخاتمته في صلاتي الفجر والمغرب تأكيد على خطورة الشرك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

• هذا التكرار في السورة إما دليل على خطورة موضوعها، وأنه من أصول الدين، والمساس به خطير ومؤثر على توحيد الإنسان، أو أنه موائم لكثرة عرضهم وتكرارهم ومحاولاتهم مع النبي ﷺ؛ فجاء ليقطع تلك الأوهام والمحاولات من أصلها ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

• بطلان دعوة (وحدة الأديان) وأنه لا سبيل للالتقاء بين الحق والباطل والإيمان والكفر إلا على أساس قبول أحكام هذا الدين، وهذه الدعوى دون قيد أو شرط دعوة لاختلاط المفاهيم ببعضها دون وعي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

• الكفر ملة واحدة، وهذا النداء شامل للكل ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ وليس لمخلوق أو ملة بعد إتيان هذا الإسلام من رأي، إما الالتزام بالحق، أو الكفر.

• وضوح الهدف والطريق، وأنه لا يمكن أن يحصل لقاء بين الكفر والإيمان في عرض الطريق. إنَّ هذا الرفض ليس للزمن الحاضر الذي تُعرض فيه هذه المطالبة بل هو ممتد في حياة الإنسان كلها دون فرق ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

• الثبات على القيم والمبادئ، وعدم التنازل عنها بحال مهما كانت الحاجة ماسة والظروف داعية. إنَّ قضايا القيم والمبادئ يجب أن لا تمس لدعوى عارضة، أو لمصلحة متوهمة، ويجب أن تحرس من كل فكرة قد توهنها أو تأتي على أصولها فتضعفها ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾.

• إنَّ منهج المصلحين إيضاح الطريق، والهداية في النهاية بيد الله تعالى! إن النبي ﷺ هنا وضَّح للقوم الطريق، وجهد في بيانه، وترك لهم الخيار، وعلى المصلحين أن يبلغوا جهدهم في إيصال قيم الدين ومبادئه إلى كل إنسان، وليس عليهم أن يأتوا بكل من يتوجهون إليهم بالدعوة إلى حياضها. وهذا يريحهم من عناء الاستجابة أو تأخرها، أو التنازل عن شيء من القيم والمبادئ من أجل الإقبال بهم. إنَّ الهداية بيد الله تعالى، وعلينا أن نبين الطريق ونترك الناس فيها بعد ذلك بالخيار ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

• يجوز أن تنسب إنساناً أو جماعة إلى ما يعتقدون حتى لو لم يكن ذلك الاسم أو النسبة شرعية في دين الله تعالى، وفي قول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ ۝٦﴾ دليل ذلك مع علم الله تعالى ببطلان ما هم عليه.

• ثمة حاجة وفطرة في نفس كل إنسان للتدين، وأنه لا يمكن أن يستغني إنسان في الأرض عن إلٰه، ولذلك إذا ضل الإنسان عن ربه تأججت هذه الحاجة في نفسه للبحث عن إلٰه ومعبود من جنسه، فترى منهم من يعبد البقر، والشمس، وبوذا، وأشياء كثر، بما يدلك على عظيم الحاجة والفطرة في قلوب الخلق إلى معبود.

• ضرورة الدعوة في بلاد الغرب، وأن حاجة تلك الأمم إلى التعرُّف على الحق تفوق كل حاجة، ولن تستقر قلوب أولئك على وهم، وستظل تشعر أن فراغاً كبيراً يطاردها لغياب الغاية الكبرى من حياتهم، فعلى أصحاب الحق أن يجهدوا في سبيل الوصول إليهم وبيان الحق لهم.

• كل الأديان التي ينتسب إليها الناس غير دين الله تعالى أديان ضالة باطلة، وفي قول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ ۝٦﴾ إشارة إلى هذا البطلان، وأنه دين من عندكم لا علاقة له بالوحي والحق.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾.

• ما مهمتك في الحياة؟! ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ كأن السورة تخاطب نبينا ﷺ وتقول له: إذا تحقق هدفك، وانتهت مهمتك، وتيسرت قضيتك، فقد انتهى كل شيء. رتِّبْ علاقتك مع ربك وأحسن خاتمتك ووداعك، لم يبق شيء بعد مجيء هذا النصر الذي كنت تنتظره.

• السؤال لك أنت: ما المهمة التي جئت لها وتنتظر نهاياتها؟ ما دورك؟ ما عملك ورسالتك ومشروعك الكبير الذي تجهد في بنائه، وقطعت فيه شوطاً أو أوشكت على نهايته؟! ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ كأنه ﷺ ينتظر أمنية وإنجاز مشروع كبير وتحقيق هدف عظيم، وها هو ما كنت تنتظره وتؤمله يأتي بعد طول انتظار.

• النصر من عند الله تعالى، وليس لصاحب المشـروع من ذلك إلا بذل الأسباب المشـروعة فحسـب! لقد وصف الله تعالى النصر الذي تحقق لنبيه ﷺ بأنه جاء منه وحده وليس منه شيء للنبي ﷺ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ وإذا كان النصـر من عنده وحـده، فيجب ألا يطلب إلا منه، وألا ينسـب في النهاية إلا إليـه، وألا يصار إليه إلا من الطريق الذي ارتضاه تعالى، ومثل ذلك كل ما يلقاه الإنسـان من نعمة، سواء في نفسه، أو بيته وأسرته، أو عمله، إنما هي محض نعم الله تعالى وتوفيقه.

• نصر الله تعالى، وتوفيقه لإنسان أو مجتمع أو أمة لن يأتي معزولاً عن أسبابه المادية، كلا! وإنما هي خطوات وأواصر يأخذ بعضها ببعض حتى تأتي في النهاية بتلك الأماني.

إنَّ علينا أن نـدرك أن هذا النصر الذي جـاء لنبينا ﷺ وهو من الله تعالى بداية ونهاية لم يأت معزولاً عن أسـبابه، وإنما جاء في خاتمتها، بعد أن استنزفت تلك الأسباب دماء جسده ودموع عينيه، وتاريخ حياته كله، وفي النهاية جاء ذلك الوعد ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾.

• أهمية الهدف والمشروع في حياة كل إنسان! لقد بعث النبي ﷺ بهذا الهدف الكبير، وحمل أعباء هذا المشـروع (مشـروع الرسالة)، وظل ﷺ يعيش لحظات ذلك الهدف والمشـروع في كل جزء من حياته حتى تحقق له فـي النهاية ذلك الحلـم الكبير، وقول الله تعالـى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ تأكيد على عنـاق النهايات. إنَّ مهمة الكبـار كبيرة في كل

زمن، ويجب أن تظل رهناً على حجم الأهداف والمشاريع التي يختطونها لحياتهم، ويعيشون لها لحظاتهم حتى يحين موعد النصر الكبير.

• عيش المشروع، وتلهُّف النبي ﷺ لنهايته، وانتظاره الكبير للحظاته؛ ترى ذلك في تصوير هذا النصر بالقادم بعد طول انتظار ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ وكل من أراد اللحظة ذاتها فعليه أن يعيش مشروعه، وهدفه، ويبذل له كل ممكن حتى يصل إلى النهاية ذاتها التي عانقها النبي ﷺ بعد زمن من انتظار.

• النصر يحتاج إلى زمنٍ كافٍ للوصول إلى نهايته، ومشروعك كذلك، وعلينا أن ندرك أن ثمة مسافة زمنية فاصلة بين البدايات والنهايات! فاصلة بين الأماني والواقع، وكل من ينشد النصر لمشروعه أو واقع أمته، فلا بد أن يدرك هذه المسافة الفاصلة بين البداية والنهاية، ويعمل في ضوئها حتى تأتي في يومها الموعود.

• إن قناعة الناس بالحق لا تأتي مبكراً، وقد يطول زمان انتظارها! وقد تحتاج إلى صور من العمل والبناء والتضحية والتطبيق حتى تأتي إليه راغبة في اعتناقه بهيجة به في الحياة، وفي قول ربك: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ ما يصوِّر تلك الأفواج القادمة لعناق الإسلام، وقد طال زمان انتظارها. إن علينا أن نبذل كل ما يمكن لتحقيق غايات دين الله تعالى، وعلينا في المقابل أن نحسن تقديم دين الله تعالى، وألا نقف للعوارض مهما كانت، وستأتي لحظات النهاية بأروع ما يكون.

• الديـــن دين الله تعالى، ويجـــب أن تصاغ مشـــاريع الأمة كلها باتجـــاه هذه الغاية الكبـــرى، وأن تحمى من الأهـــواء، والانتماءات الباطلة، والحزبيات، وأن يتحرَّك الإنسان في مشروعه أو هدفه على ضوء هذا المعنى، وألا يخالطه شـــيء من أغراض النفس البتة ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ ۝٢﴾.

• ثمة صلة كبرى بين الشـــكر والتوفيق! الأول ساق وجذر، والثاني ورق مورق بالثمار! ســـبب ونتيجة لم يفترقا في لحظة زمن، ويمضيان ســـنة إلٰهية إلى قيام الســـاعة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ وما حق تلك النعـــم الوارفة عليه ﷺ إلا هـــذا الإجلال من الشكر والعرفان! وإذا كانت هذه الرسالة لأعظم الخلق فغيره أحرى بها وأولى.

• حاجة الإنسان الكبرى إلى ربه تعالى! وما من نعمة ينالها مخلوق إلا وهي فضل من الله تعالى، ومنة على عبـــده، وعليه أن يعي واجبها، ثم يعي في المقابل تقصيره عن أداء شكرها والقيام بحقها، ولذا أمر ﷺ مع كل ما كان يقوم به من حق بالاســـتغفار، والاستعتاب من ربه تبارك وتعالى في نهاية الطريق.

• حين تواجهك مشـــكلة، أو تعرض لك في الطريـــق محنة، أو تلقى عقبة فعد إلى ربـــك، وانطرح بين يديه راجياً منـــه التوفيق والعون، وتعلَّم مسائل التضرع والخشـــية والفقر قبل أن تتوجه لمخلوق في الأرض يهبك من عونـــه وتوفيقـــه. إذا كان الله تعالى يعلِّـــم نبيه ﷺ هنا إحســـان العمل

والإقبال عليه وقت النصر شكراً للنعمة، فكذلك وقت المشكلات والعوائق أحوج وألطف ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾.

• عناية الله تعالى بنبيه ومحبته له، ورعايته له في كل طريق ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ بعض من ذلك المعنى الكبير الذي كان يلقاه وهو يقوم بهذا الواجب الكبير.

• إذا تحقق لك نصر، أو أتم الله تعالى لك مشروعك، أو قرَّب لك مسافات النهاية في قضيتك، فجمِّل ذلك بخلق التواضع والخضوع لربك تعالى، وفي قول الله تعالى: ﴿نَصْرُ اللَّهِ ﴿١﴾ ﴾ دعوة لهذا المعنى، فليس لك منه شيء، وقد تجمَّل بذلك ﷺ في تلك اللحظة فدخل مكة مطأطئاً رأسه متواضعاً لربه.

• قد يتأخر النصر في جزء من أرض الله تعالى؛ إما لأن أدواته لم تستكمل في حياة المؤمنين بعد! أو لعدم تمايز الصف بين الفريقين، أو لحكم يشاؤها الله تعالى من اتخاذ الشهداء، أو تمحيص المؤمنين، فلا يجزع المؤمنون من طول الطريق وشقته، وإنما عليهم أن يستمروا دون نظر إلى عاجل العواقب أو جني الثمار.

• للنصر صور كثيرة، هذا الذي حصل للنبي ﷺ هو أحدها، وثبات المؤمن على الحق، وتمسكه به زمن الفتن، والمضي في مشروعه الذي اختطه لنفسه رغم العقبات العارضة نصر عاجل يستلذ به المؤمن في عرض الطريق.

• سمو هذا الدين وجماله وأثره على أصحابه؛ ترى ذلك في فرحهم بالنصر ودخول الناس في دين الله تعالى دون اعتبار لمواقف سابقة مهما كان رصيدها في الطريق. بل ترى الواحد منهم يلقى أخاه بعد إسلامه فكأنه يلقى أقرب الناس منه، وأحبهم إليه، وهذه صور تتكرَّر إلى زماننا هذا، وكل ذلك بعض معاني الإيمان في نفوس أصحابه.

• رحمة الله تعالى بعباده، وشفقته عليهم؛ ترى ذلك من خلال ما شرع لهم من العبادات التي تسد خللهم ونقصهم في القيام بواجب ربهم تبارك وتعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ وهذه الرحمة شريعة ممتدة في كثير من العبادات؛ كالصلاة، والحج، وقيام الليل، وكفارة المجالس، ونحو ذلك مما تراه في شريعة الله تعالى.

• ضرورة العناية بالطاعات، والأعمال الصالحة، والمشاريع المباركة، والحرص على استيعاب رحلة الإنسان كلها في طاعة الله تعالى حتى إذا ما رحل من الدنيا رحل وهو على خير وبر، وفي الترمذي: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله**»، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «**يوفقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت**».

• أثر الكبار في عمارة الأرض، وفوات حظ الأمة منهم على قدر مشاريعهم فيها؛ ترى هذا من خلال الإجلال والاحتفاء والتوديع لرسول الله ﷺ، حتى إنَّ السورة كلها سميت سورة التوديع كما يقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

• لا يحملك الفوز والنصر وبلوغ النهايات في مشروعك على الكبر والعجب، فليس ذلك من خلق الكبار، ولذلك جاءت الدعوة إلى التسبيح والاستغفار من الذنب، فإنه حري بأن يذكره بواقعه، ويريه منن الله تعالى عليه ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾.

• الإكثار من التسبيح والاستغفار من أعظم ما يعين على تحقيق مطلوبك في الدارين! إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بهما في أعظم أوقات الحاجة لديه وهو وداعه من هذه الدنيا واستقبال الدار الآخرة، ولذا كان كثيراً ما يردده ﷺ في آخر حياته، كما أخبرت بذلك زوجه عائشة رضي الله عنها ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾.

• سعة رحمة الله تعالى، وجميل عفوه؛ ترى ذلك في وصف نفسه بالتواب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ وهذا المعنى كبير في قلوب المتقين، وهو دعوة إلى كمال القرب والتعلُّق، وبذل الوسع والجهد، وعدم اليأس من غفران الذنب مهما كان حجمه وأثره.

• ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ دعوة لمكارم الأخلاق، فلولا أن الله تعالى يحب العفو والصفح لما كانت هذه الصفة على سبيل المبالغة، وإذا كان الله تعالى يحب هذه المعاني، فجميل أن يتمثَّل بها عبده، وأن يعيش معانيها في حياته، وأن يعفو ويصفح عن كل من بادره يوماً بسوء، وأن يظل يرعى هذه الصفات التي يحبها الله تعالى ويتدثَّر بمعانيها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

• هذه البشائر التي يزفها الله تعالى في هذه السورة هي خواتم كل

مشـــروع قام جذره على الصدق والإخلاص، واســـتوعب كافة الوسائل والأســـباب الممكنة للنجاح، وكل مؤمن صادق في الطريق إذا تحققت في مشروعه هذه المعاني كان موعوداً بذات النهايات.

• ينبغي أن يُخبـــر المريض بخطر مرضه، أو قـــرب نهايته لكن في ثوب رائق من الأسلوب بما يمكنه من الاستعداد والامتثال، ولا يحمله على الخوف والضجر والجزع، والسورة كلها جاءت لهذا المعنى، وقد فقهها الحبر ابن عباس رضي الله تعالـــى عنهما وأرضاهما من بين كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

• دعوة للاســـتعداد بالعمل قبل الموت، وإن كان هذا عاماً في كل لحظة من حياة الإنسان لعدم معرفة زمن موته، إلا أنه حقيق بالعناية بعد طول عمر الإنسان أو وجود ما يعرض من الأمراض، والله المستعان!

• دعوة للتفاؤل! وإذا قرأ الإنســـان سيرة هذا النبي ﷺ وقرأ لحظات البداية في أفياء مكة، أو ســـاحات الطائف، وقرأ المؤامرات والحروب التي شنت، والخيانات التي حيكت له ﷺ وقرأ اليوم هذه السورة، وهو يحتفـــي بالنهايـــة أدرك أن الحق يمضـــي لا يمكن أن يعيقه شـــيء في الطريق.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

• أعظم خسارة يلقاها الإنسان في تاريخه كله حين يصنع من نفسه خصماً لدوداً لدين الله تعالى. ماذا بقي لأبي لهب من ذلك الجاه الكبير الذي كان يسير به في مكة حين وقف في طريق الإسلام إلا هذه الخسارة الكبرى للدارين!!

• أخطر ما يواجه الإنسان في حياته نفسُهُ التي بين جنبيه، وكم من هوى وعجب وكبر أغار على صاحبه في لحظات فأذاقه خسارة الدارين، ما لهذا الشقي وَلِدِين الله؟! خاف أن يذهب ذاك الشرف وتلك المسؤولية فقام معارضاً مستوثقاً من الباطل بكل ما أوتي من قوة.

• غالباً ما تكون المسؤوليات والمناصب سبباً في انحراف الإنسان عن الحق، ذلك أنَّ شهوات النفوس تغلب أصحابها، وتكتب عليهم هذه المسؤوليات واجبات وهمية تعارض الحق وتقف في طريقه إلا من وفقه الله تعالى وهداه ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.

• كثيرة هي الانتصارات الوهمية التي يُصفق لها، وتذهب في النهاية لحظاتها دون شيء! حين وقف أبو لهب أمام تلك الجموع قائلاً: (تبًّا لك ألهذا جمعتنا) صفق كثيرون، وها هو في النهاية يكتشف وَهْم الانتصار الذي كان يعيشه تلك اللحظات.

• الأموال والمسؤوليات التي يهبها الله تعالى لمخلوق إذا لم تكن عوناً له على الحق، وإلا كانت سبباً كبيراً في خسارته للدارين. لا ينفع المال إنساناً لا غاية له، ومسؤولية لا هدف لها! ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ كم كان لهذا الشقي؟ وماذا صنعت له في النهاية؟!

• جزاء كل إنسان على قدر عمله ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ دليل على كبير ما يلقاه هذا الهالك غداً بين يدي الله تعالى، وما ذلك إلا لكبر عداوته للحق، وإفساده في الأرض.

• حقائق القرآن لا تقبل التغيير ولا التبديل: أخبر الله تعالى هنا عن مصير أبي لهب ومآله، ولم يتمكن أبو لهب من تكذيب هذه الحقيقة

رغم أنها عاشت معه زمناً طويلاً ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾.

• (عيش المشروع) كان واضحاً جلياً في سيرة هذا الهالك، عاش لمشروعه وبذل له كل ما يمكن من حياته، يصوِّر هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد من حديث رَبِيعَةَ بن عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللهُ تُفْلِحُوا**»، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا مِرَاراً وَالنَّاسُ مُتَصَفُّونَ عَلَيْهِ يَتَّبِعُونَهُ، وَإِذَا وَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ وَضِيءُ الْوَجْهِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، مَرَّتَيْنِ. فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا، فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. وعلى ذات الطريق صحب وأعوان لهذا الهالك يعيشون مشاريع، ويجهدون أن يَحُولوا بين الناس وبين دين الله تعالى، وأهل الحق أولى بأن يعيشوا مشاريعهم كما عاش هذا الهالك لمشروعه وأعظم.

• تحزيب البيوت لصالح المشروع؛ ترى ذلك ظاهراً في سيرة زوج أبي لهب وهي تقف في ذات الطريق، وتنصب نفسها لذات المشروع، وتجهد بكل قوة في إعانة زوجها على بلوغ غاياته ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ ليس عملاً عارضاً، وإنما جهد مشروع تحمل به طموح زوجها، وتعينه على عناق النهايات. لم تكن المسألة في بيت أبي لهب مسألة شكوى من انشغال زوجها عنها، وسيطرة مشروعه على وقته وفكره فضلاً عن الوقوف دونه ومعارضته، وإنما تحولت إلى ولاء

ظاهر، وخروج عن جدران البيوت إلى ممارسته في الواقع، وبذل كافة ما يمكن من جهد لتحقيق غايات ذلك المشروع. فيا الله ما أحوج الإسلام إلى بيوت كهذه في الحق!

• سوء مآل المتعاونين على الإثم والعدوان: هذه امرأة أبي لهب حين كانت عوناً على الباطل وردءاً في العدوان، صارت في النهاية إلى الخذلان ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾.

• هذا هو طريق الدعوة، سيظل مليئاً بالعقبات والآلام، ولن تأتي اللحظة التي تستقر فيها رحاه، وعلى أهل الحق أن يدركوا ذلك، وأن يفقهوا هذا المعنى، وألا يقعدوا حين يرون عدواً مستبداً، أو جولة لأهل الباطل، فتلك سنن ستأخذ حظها من الواقع، ثم تزول مع مرور الأيام ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾.

• سيظل الإسلام يملأ الدنيا بواقعه، وقد استطاع أن يقف صامداً أيام النزر اليسير، وأن يغير على الواقع المظلم فيبدِّد ظلامه، ويهدد استقراره، ويمضي رغم قلة المعين، وظروف الطريق، وكلما مر الزمان زاد ثقة وكثرة! ودين هذه طبيعته وهذا واقعه يجب أن يملأ قلوب أصحابه ثقة وتفاؤلاً، وهذه السورة نافذة على هذا الأمل الكبير، فما صنع أبو لهب! وما صنعت قريش! وما صنع النفاق! باءت كل المحاولات بالفشل، وعاد أصحابها عبرة، وهذا هو الإسلام آخذ في المضي إلى حين موعد اللقاء.

• رعاية الله تعالى لأوليائه، وحفظه لهم، ودفاعه عنهم، ترى ذلك في هذه السورة التي رد الله تعالى بها عن رسوله ﷺ صولة هذا الكافر وعدوانه عليه، ومواجهته له. وللمصلحين من بعده على قدر متابعتهم، وإخلاصهم، وقيامهم بمشاريعهم في الحياة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

• تسلية قلب النبي ﷺ، وقلوب الدعاة والمصلحين وأصحاب المشاريع من بعده إلى يوم الدين: إن الله تعالى معهم ضد كل عدو، يدفع عنهم مكر الماكرين، ويصد عنهم عدوان الكافرين والمنافقين ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

• عظيم حق النبي ﷺ: لقد تولى الله تعالى الدفاع عنه، وجعل سورة من كتابه تتلى على رؤوس الأشهاد تسب من تعرَّض له إلى يوم القيامة، وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ، فكيف بالتعدي على جناب الكبير المتعال جلَّ في علاه! ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

• الهداية بيد الله تعالى، وقد هتفت الدعوة بقلوب كثيرين، ولم تلق رواجاً وقبولاً لدى أقرب الناس إلى صاحبها ﷺ، فهذا عم النبي ﷺ شرق بها ولم يقبلها، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] وما أحوجنا اليوم إلى فقه هذا الدرس الكبير! كم من مستفيدٍ ومهتدٍ من آثار الدعاة! وبيوتهم وأقرب الناس إليهم لم تلق ذلك الرواء الذي لقيه الآخرون. إنَّ علينا أن نمنح بيوتنا حقها من الدعوة، والعناية، والاهتمام، وعلينا مع ذلك أن نؤمن أن الهداية بيد الله تعالى، ولا نملك سوى دلالتهم على الخير.

• الجزاء من جنس العمل! وقف أبو لهب أمام الدعوة، وخرج لها سافراً في كل مكان، وصاح بأعلى صوته: (تباً لك ألهذا جمعتنا؟) وجاء الجزاء على قدر تلك الأعمال، فجعل الله تعالى له راية سوداء تهتف به في كل زمان ومكان، وهذا يدلك على خطر المبادرة، وأثرها على صاحبها في مستقبل الأيام.

• كل معارض للدعوة، واقف في طريقها، حائل بينها وبين بلوغ غاياتها الكبرى موعود بذات النهاية التي لقيها أبو لهب، والتاريخ شاهد، وصدق القائل:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها ... فلم يَضِرْها وأوهى قرنه الوعل

وما يصنع عود أمام جبل، وحفنة تراب أمام سيل هادر، لكنها سوء النهايات ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

• لا عبرة في دين الله تعالى إلا بالعمل! هذا شريف قريش وكبيرها وسيد من ساداتها حين وقف في طريق هذه الدعوة، ورفض أن يشرب من هذا المعين الصافي لم يعبأ به الإسلام ولم يقم له وزناً، وذهب حكاية سوء في عرض التاريخ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

• دين الله تعالى لا يحابي أحداً لجاهه، أو سلطانه، أو أسرته، ومسؤوليته، وإنما يعامله بمقتضى عمله وفعله، فهذا أبو لهب من رؤوس قريش، وصاحب مقام وسلطان، ومن بيت النبي ﷺ، وتذهب السورة تنادي بنهايته، وتبين عواره في الدارين ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

• كشف المنافقين، وفضحهم منهج شرعي، وسيرة هذا الضال جاءت في سورة كاملة تقرأ في مساجد المسلمين ومجالسهم ولقاءاتهم، وفي كل مكان. على أنَّ هذا المنهج يجب أن ينضبط بضوابط الشرع، وألا يكون سبيلاً لاتهام الخلق، وتسويق الشائعات، ونقل الأخبار المكذوبة، والتقوُّل على الخلق بغير حق، وأن يتحرَّى الإنسان فيه قدر وسعه؛ لأن المسألة دين، وهي كذلك مبنية على قضية المصالح والمفاسد؛ فعلى الإنسان أن يرعى حقها ويدرك حدودها ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾.

• الحجة لا تقارع إلا بالحجة، والشُّبه لا ترد إلا بالعلم (قُلْ) هنا ردٌّ على سؤال الكافرين: (انسب لنا ربك) وهذا هو الأصل أن تقارع الحجج ببعضها، وأن يأتي العلم على مظان الشبه. ونحن في زمان كثرت فيه الفتن، وأثيرت فيه الشبه، ورُكِّز على المتشابه محاولة لخلخلة مفاهيم النص الشرعي، وإضعاف مقوماته، وعلى طلاب العلم أن يدركوا شأن العلم والتحصُّن به، ورعاية مقامه حتى يتمكنوا من الوقوف أمام هذه الفتن والتصدي لها. ولا أقل من أن تضبط هذه المسائل التي يروِّج لها الإعلام، وتفقه بفقهها الشرعي، ويتحصَّن بها أصحاب الحق للرد على أصحابها حين تثار.

• كمال الله تعالى وعظيم سلطانه، ترى ذلك من خلال اشتمال السورة كلها على وصف الله تعالى، ومقتضيات هذه الصفات تعظيم الله

تعالى، وإقامة شعائره، والقيام بحقوقه، والوفاء بواجباته، ألا ترى كيف رعى الصحابي حقها، فكان يختم بها في ركعة من كل صلاة، ولما سئل عن ذلك قال: (إني أحبها) فقال له ﷺ: «**حبك إياها أدخلك الجنة**»! ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• ما أحوجنا إلى قراءة هذا الوحي قراءة مشاعرية! وما نصنع بحرف نردده دون وعي! ويأسرني في هذا المعنى فقه الصحابي لهذه السورة التي يختم بها كل ركعة، ويجيب على سؤال نبيه ﷺ أنَّ الحامل له على هذا المعنى الشوق لربه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• إذا قام في قلبك مخلوق رغبة أو رهبة فَكُرَّ على هذا الشرك الخفي بوحي سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• إذا توعَّدوك في طريق، أو عرضوا لك في قضية، أو اجتمعوا عليك في مكان، فعلِّق نفسك بهذا المعنى الكبير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• إذا رغبت في مدح أو ثناء أو كرم مخلوق، فَارْقِ نفسك مراراً بسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• حرصك على ذكر اسمك في كل مناسبة ومشهد ومساحة خلاف الإخلاص الذي ترجوه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• حين تصوِّر نفسك في أي وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي راقب نيتك، وتنبه لتوجه قلبك، فالله أولى بك من كثيرين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• إذا رأيت من يطوف بالقبور، أو يعظِّم الأولياء، أو يمدح في مسؤول أو يعدد في مناقب منافقين فصح عليه بسورة الإخلاص علَّه أن يكون من الموحدين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• يجيب دعوة أخيه في الزواج، ويسافر لها سفراً تُقصر فيه الصلاة، ويدفع آلاف الريالات من أجل ذلك، وهو على خير ولكن لينتبه من ضلال النية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• يحضر صلاة الجنازة، ويشارك في دفنها، ويعزي صاحبها، وتغيب عنه في مرات كثيرة مباهج النية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• في أوساط النساء ترى صوراً كثيرة ومثيرة في ذات الوقت من المشاركة في مناسبات بعضهن، وهي من الخير، ولكن يُخشى عليها

من آثار الرياء ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• حضرت زواجه ولم يحضر زواجي، وعزيته ولم يعزيني، وزرت مريضه ولم يزرني، هذه مظاهر الرياء تتكاثر في أوساط كثيرين وإمامهم يقرأ في كل مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• حتى مركوبه، وبيته، وثوبه باتت تتسابق على غير الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• إذا مرض استنفد كافة خيارات العلاج عند الخلق، فإذا لم يجد برءاً عاجلاً توجَّه إلى الرب ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• يعرف كثيراً من عناوين المستشفيات، وأرقام الرقاة، وجهات المعالجين بالطب الشعبي، وقد لا يبذل من وقته للعلاج الشرعي إلا النزر اليسير، والله يردد على مسمعه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• باب الأسماء والصفات من أعظم ما يبني قضايا التوحيد في النفوس، وقد جعل الشارع هذه السورة تعدل ثلث القرآن، وليس فيها سوى صفات الله تعالى. وهي الطريق التي يتعرف بها العباد على ربهم تبارك وتعالى، فكيف لو علم العبد حق العلم وفقه حق الفقه أن الله

تعالى هو الحي الكبير العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد، وعلم مقتضى ذلك، وأنه لا ينفع إلا هو ولا يضر سواه، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وأنَّ ما أراد الله تعالى كان، وما لم يرد لم يكن، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه! وكيف لو علم أنه يسمع ويبصر، وأن ما يحدث في الكون مهما دق أمره وقل شأنه، فإنَّ الله تعالى يراه ويبصره، وأنَّ سمعه وبصره وعلمه يبلغ ما خفي وما بطن ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• جعل الشارع قراءة هذه السورة سنة راتبة في راتبة المغرب، وراتبة الفجر، وركعتي الطواف تذكيراً بهذا المعنى الكبير فيها، وسورة أولاها الشارع هذه العناية حقيقة بالعناية، وهذا المعنى أعني (باب التوحيد) من أعظم ما ينبغي أن يركَّز عليه في دعوة الناس إلى الحق، فإنَّ من صح له توحيده صح له كل شيء، ومن تعلَّق بالله تعالى ثبت أمام عوارض الفتن، والشبهات، والشهوات. وكل أبواب الدعوة هي فرع من هذا الأصل الكبير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• فقر العبد، وغنى الخالق: ألا ترى أنه لا سبيل لغنى المخلوق إلا بالاستعانة بربه تعالى، واللجوء إليه، والاعتصام به، ومن معاني الصمد صمود الخلائق إليه، وتعلقهم به، وحاجتهم إليه، فهم مفتقرون إلى

ربهم في كل شـــيء، وهذا من أعظم الأدلة على غناء الله تعالى وكماله جل في علاه ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾.

• إثبات كمال الله تعالى: ترى ذلك من خلال إثبات صفاته في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾، ونفي النقائص عنه في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

• الدعوة للحرية، والتحرر من القيود التي تكبل الإنسان من التعلق بالمخلوقين، ورجائهم، والتوســل إليهم، والرغبة فيما عندهم، ومن قرأ هذه السورة وأعطاها حقها من التدبر في صفاته تضاءل في عينه الخلق، وتعلَّق قلبــه بالله تعالى، وأدرك أنه حرٌّ مــن كل قيد يفرضه الخلق على عباد الله تعالى في الأرض. ومن صفا له التوحيد صفا له كل شيء ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

• تأجير العقول مشــكلة أزليــة، لقد جاءت هذه الســورة كلها في وصف الله تعالى، وكمال سلطانه، وعظيم قدرته، وعدم مساواة أحد من الخلق له، ومع ذلك لم يســمح كثير من عباد القبور والأولياء لعقولهم بالتأمل في معنى هذه السورة وما أرشدت إليه ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

• كمال شــفقة الله تعالى بخلقه، وهذه السورة التي يصف الله تعالى فيها نفســه، ويبين لخلقه عن قدرته وكمالــه تعليم لهم بصفات جلاله، ودعوة لتعظيم شــعائره، والقيام بحقه، وأداء واجباته على أكمل الوجوه وأتمها ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

• الصدق والإخلاص مع الله تعالى في كل شيء، فإذا كان الله تعالى أعظم مطلوب ومرهوب، فما ينفع إنسان توسله بغير ربه! وما يغنيه رضا مخلوق أو غضبه:

إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هين ... وكلُّ الذي فوق التراب تراب

وفي حديث نبيك ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ**».

• الرد على اليهود والنصارى والمشركين، فكل هؤلاء نسبوا لله تعالى الولد، فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله تعالى، فتولت السورة القضاء على هذه الأفكار والأوهام والمعتقدات كلها ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

• جلاء منهج التلقي، وأنه لا يمكن أن ينضبط للإنسان سيرة وسلوك إلا حين يكون التلقي من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، (وقل) هنا إشارة إلى هذا المعنى، وكل انحراف أصاب الأمة فإن أصله من هذا الطريق ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

• الرد على أهل البدع والشركيات؛ فكون الله تعالى واحد أحد يدفع كل وَهْمٍ يتعلَّق به أهل الشرك من الأعوان والنصراء والأولياء ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

• إنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء، وعلى هذا فكل صفة صحت لله تعالى في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ وتتحد مع المخلوق في الاسم، فلا يتأتى على بالك أو علمك أو فكرك شبهها بصفة المخلوق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

• كل ما دون الله تعالى فهو ضعيف فقير محتاج مهما بلغ ملكه وسلطانه ومسؤوليته، وفي قول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ بيان لهذا المعنى وتأكيد له.

• حين تقرأ هذه السورة فهي حديث الخالق عن نفسه، ووصفه لها؛ فهب لها من قلبك، ومشاعرك، وتفكيرك ما يبعث فيك إجلاله تعالى، والقيام بحقه، واستشعار عظمته وسلطانه، وحين تأوي إلى فراشك، فانفث بها مع أخواتها الفلق والناس، فإن رسولك ﷺ قال: «**ما تعوَّذ بمثلهن أحد**». ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾.

• قيمة العلم في العمل به، وما ينفع إنساناً يعرف أثر العلم ولا يعمل به، ولا يأخذ حظَّه من واقعه! والاستعاذة هنا نوع من العمل بالعلم وإثراء لحقيقته في شيء.

• كل علم لا يترتب عليه عمل فاربأ بوقتك أن تبذله في قراءته أو تَعَلُّمِه، وما يصنع إنسان بركام حرف لا قيمة له في شيء! ما رأيت كثرة للعلم مثل ما رأيت في زماننا، وما رأيت إدباراً عن قيمه ومعانيه ومُثُلِهِ وتطبيقه كما رأيت في مثل هذا الزمان. ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ دعوة لتحويل هذا العلم إلى ساحات العمل والتطبيق.

• رأيت في وسائل التواصل الاجتماعي من يدفع المعارف والمعلومات كما يدفع أبناؤنا الكرة في الملاعب، الكلُّ يود أن ينفع بها

غيره، والحقيقــة أن كل واحد منهم يود أن يتخلَّــص منها، ويخرج من تبعاتها، وإذا لم تُسعد نفسك بالعلم، فلن تستطيع أن تُسعد به غيرك.

• كان أحدهم يربي نفسه على العمل، فلا تمر به معلومة حتى تأخذ حظها من التطبيق في حياته ولو لمرة واحــدة، وعلى مثل هذا المعنى تنداح ذكريات العاملين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾.

• ما أشد حاجة الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى! وإذا كان الأنبياء مع عظم شــأنهم ومكانتهم عند الله تعالى عَلَّمهم ما يقيهم الشرور، ويدفع عنهم غوائل السوء، فكيف بغيرهم من العباد! ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ (قل) هنا لرسوله ﷺ، وهي في الوقت ذاته لكل فرد من أمته.

• الوقاية منهج شــرعي: ومن كمال عقلك أن تحول ما بينك وبين الشرور العارضة في الطريق بالأسباب الواقية منها. وكم من تفريط في هذا المعنى أوجب نهاية ســوء! توقف بعض طلاب العلم عن القراءة مع شغفه بها سنة كاملة لا يستطيع أن يمد يده إلى كتاب، وآخر توقف مشروعه من أصله، وثالث ساءت ظروفه، ورابع وخامس وعاشر، وقد قال نبيك ﷺ (العين حق)، وأثبت أن في العالم شروراً تحتاج إلى توقٍّ واحتــراس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

• التوكل على الله تعالى ليس معنىً قلبيًّا مجرداً عن الأسباب، وإنما هو بذل للأسباب الشرعية مع توكل القلب وتعلقه بالله تعالى في كل شيء، و(قل) هنا دعوة لفقه الأسباب وأثرها في دفع غوائل السوء ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾.

• في مخلوقات الله تعالى شر، ولذلك شُرعت الاستعاذة بالله تعالى منها، وهي من كمال حكمة الله تعالى وقدرته، ويترتَّب عليها من حِكَمِ القضاء والقدر شيء كبير، فهي شرور نسبية، فلولا هذه الشرور لما عُرف الإيمان من الكفر، والصبر من الجزع، والإيمان بالقدر من سوء الظن بالله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

• من دلائل علمك، وكمال أدبك مع ربك ألا تنسب الشر إليه كما في دعاء نبيك ﷺ: «**والشر ليس إليك**»، وإن كان هو من قضاء الله تعالى وقدره.

• الشرور مختلفة ومتباينة؛ منها ما هو ظرف لها كالليل، ومنها ما هو من فعل الإنسان سواء كان سحراً، أو حسداً، وإنما خصت هذه الثلاثة بالذكر لشدة ملابستها للناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

• ظلام الليل شر يُستعاذ منه، ويُستعد له، ويُتعوذ منه ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ وظلام الجهل، والشدة، والمشكلات، والأزمات،

والمصائب التي تلقاها في طريقك كالليل أو أشد، وحاجتك في هذه المواطن للجوء إلى الله تعالى، والإقبال عليه، وسؤاله الفرج والتوفيق كحاجتك للنور في ظلام الليل لا فرق.

• في السورة دعوة للتفاؤل، وأنَّ الظلام العارض مهما بلغت ظلمته فهو إلى زوال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ في مواجهة تلك الشرور الممتدة في الأرض ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ فإذا كان فلق الصبح، وهو بعض خلق الله تعالى يبدد صور الظلام الحسي، فكذلك خالقه ومدبره أقدر على تحويل الظلام المعنوي من حياتك وواقعك إلى أبهج ما يكون.

• تختلف الشرور في تأثيرها على الإنسان، وفي تخصيص (الليل، والسحر، والحسد) ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ بعد عموم ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ما يدلك على ذلك، فتنبه وأَعِدَّ لها ما يدفَعُها من طريقك قبل الوقوع.

• من القواعد المقررة: ما أنزل الله تعالى داءً إلا أنزل له شفاءً، فهذه الشرور والأدواء التي تنزل بالناس لها أسباب وقائية؛ كصلاح النفوس وتزكيتها، أو حفاظها على الأذكار المشروعة، ولها أسباب علاجية؛ كالتداوي بالقرآن، أو بغيره من الأدوية التي هي سبب في مواجهتها، وزوالها بعد الوقوع.

• إذا عَرَضت هذه المشكلات لإنسان فعليه أن يقابلها بالتوكل، والصبر، ويستعين عليها بالأدوية الشرعية، ويقوم بقلبه تعظيم الله تعالى، والإيمان بقضائه وقدره أولاً وآخراً.

• كم من مشكلة عرضت لإنسان في الطريق، فكانت سبباً في إقباله على الله تعالى، وإصلاح سيرته، وتدارك زمانه، وهذه الشرور مع شدة خطرها وأثرها على الإنسان قد تكون بوابة يلج منها الإنسان إلى الله تعالى فلا تكون باباً للتشاؤم، والخوف والقلق، والتوجُّس، بل يمضي الإنسان متوكلاً متوقِّياً محتسباً ما يناله منها في الله تعالى، مستفيداً منها في تكفير خطاياه، وإصلاح واقعه، وتصحيح مساره في مستقبل الأيام.

• كل نعمة أعطاك الله تعالى فهي مهددة بهذه الشرور، ولا سبيل للحفاظ على هذه النعم إلا بشكرها، وشكرها ليس صورة مجردة باللسان، وإنما حسن صلة بالله تعالى بالقلب، واللسان، والجوارح.

• أثر المعرفة في التوقي من هذه الشرور، وهذا البيان في كتاب الله تعالى عن هذه الشرور وأخطارها دليل على أثر المعرفة في خَلْقِ حصانةٍ تجاه الشرور، وكم من جهل أوقع صاحبه في مهاوي الردى وهو لا يشعر!

• كفاية منهج الله تعالى، فما من خير إلا أبانه، وما من شر إلا كشفه ووضحه ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

• رأيتــه إذا صلى الفجر والعصــر مكث قاعداً يتلــو أذكار صباحه ومســائه، ولا يمكن أن يتحرَّك إلا بعــد تمامه عمــلاً بتوجيه الوحي، وحفاظــاً على ما آتاه الله تعالــى من نعم، وتوقياً للشــرور العارضة في الطريق، وكذلك يصنع العلم.

• ما أكثرهــم الذين يدفعون أمــوالاً باهظة في ســبيل التأمين على أنفســهم وأهليهم ومركوباتهم، وينســون في المقابل التأمين على هذه الأنفس بأعظم أسباب وقايتها في الدارين ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦ ﴾.

• (أعــوذ) أكبر من كلمة تأتي على لســانك، إنَّها هــروب بقلبك، ومشاعرك، وفكرك، ووجدانك، وكل شيء منك إلى خالقك، ولك منها القدر ذاته الذي تقبل منه إلى ربك ومولاك. ما أحوج الإنســان إلى ربه وقت الرخاء والسعة، فكيف به في وقت الخوف والشدة والبأساء!. فرق كبير بين دعوة يرددها لســان محتاج، ودعوة تخرج مــن فجاج القلب وتعانق فضاء السماء رغبةً وأملاً ورجاءً ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ ﴾.

• (أعوذ) اعتراف منك بضعفك وإجلال منك في الوقت ذاته لربك، وإذا فقه الإنسان ضعفه وفقره تدرج في مدارج العبودية، ونال من توفيق الله تعالى على قدر ما في قلبــه من تواضع وإذعان. ما أكثر ما كان يردد

رسولنا ﷺ هذا المعنى كثيراً في حياته: «**اللهم لا تكلني إلا نفسي طرفة عين**».

• الإنسان أضعف من أن يقف أمام عدوه من الإنس، فكيف بعدو لا يراه! وقد سلَّطه الله تعالى عليه، ومكَّنه منه، ولا حيلة له منه إلا باللجوء إليه والاستعاذة به، والتوكل عليه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

• (قل أعوذ) دعوة وتعليم للإنسان بأن لا يمل سؤال الله تعالى، والتوجه إليه والإقبال عليه، والإلحاح في سؤاله كل حين. وإذا كانت هذه الدعوة للإنسان على سبيل التوقي من شرور الشياطين، والسلامة من كيدهم، فكيف بالداعي وهو في أحلك الظروف، وأسوأ المشكلات، وأصعب الأحوال!

• الشيطان أعظم عدو يطارد الإنسان، وقد أقسم قائلاً: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] وتوعد قاصداً ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] وعدو هذه غايته، وهذه طرقه ووسائله لا ملجأ لك منه إلا بالله تعالى.

• لا عليك من كل عوارض الطريق إذا آمنت أنك تقرأ عقيدة، وتحتمي من خلالها بجلال الله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾.

• أصل كل بلية تلقاها في طريقك إنما هي من وسوسة عدوك، وهي أعظم طريق للوصول إليك، وما من فتنة وبلاء وشر يصيبك ظاهراً إلا بعد جولة هذا المعنى في قلبك وفكرك باطناً، قال ﷺ «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»، وقال ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**»، وقال ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**». قال ابن القيم رحمه الله: «فإنَّ القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنِّيه، ويشهِّيه فيصيره شهوة ويزيِّنها له ويحسنها، ويخيلها في خياله حتى تميل نفسه إليه فيصير إرادة». اهـ. وكل الأحداث التي تراها في واقعك هي في الأصل خواطر تحولت في النهاية إلى أفعال.

• (الوسوسة) بذر الشيطان الذي ينثره أمام جوارحك كل يوم، وهي كالحب الذي يُلقى للطير من أجل قتله، والصيد الذي يلقى للسمك في البحر من أجل صيده، وكم من إنسان لقي حتفه من خلال ذلك البذر ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

• كل النهايات التي تقع فيها تبدأ جولتها الأولى في قلبك ومشاعرك، وما يزال يرعاها عدوك، وينثر فيها مباهج الشهوات

والشبهات حتى يُلقي بك في مدارك السوء ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾.

• من فقه نفسك أن توقف سيل هذه الخواطر في بدايتها، وأن تحول بينك وبين خيالاتها ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾.

• بداية شرارة الخلاف مزاح، وبوابة الزنى خيانة عين، وأول خطوات الخذلان رؤية مشهد، وتجربة طريق مجهول، وعلى مثل هذه البدايات تُسفك القيم، وتذبل معارج التوفيق، وتتصحَّر قلوب الأتقياء، وتموت مباهج الاستقامة، وينتهي في النهاية كل شيء. وكل القابعين خلف القضبان في سجون الحريات لم يدركوا مآلات تلك البدايات، وما زال بهم الخطو حتى غابت عنهم شمس الحريات ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾ وإذا أردت أن تعرف خطر هذه الوسوسة، فتأمل في حشد هذه الصفات للمستعاذ به من شرها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾.

• أمامك عدوَّان؛ عدو من الجن، وآخر من الإنس، وكلاهما يجهد من ذات الطريق، غير أن الأول يأتي إليها في صورة باطنة لا تراها، والثاني في صورة ظاهرة ولا فرق، فكل يجهد لإقناعك في النهاية بالخذلان وسوء التوفيق ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾.

• لقيت كثيرين في السجون كلهم يعترف أنه سبق هذا المكان حديث طويل عريض في قلبه ومشاعره، وما زال ينمو حتى خرج في

صورة سجين ينتظر نهايته ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝١ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾.

• لا سبيل للخلاص من عدوّك إلا بالإقبال على ربك من خلال تزكية نفسك بالطاعات، والإدبار عن مواطن الخذلان، والمحافظة على الأوراد الشرعية، وبذل كافة الأسباب الواقية لدفع شرهما والتخلُّص منهما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾.

* * *

المحتويات

مقدمـــة ٥

سورة النبأ ٧

سورة النازعات ٢٣

سورة عبس ٣٥

سورة التكوير ٤٧

سورة الانفطار ٥٥

سورة المطففين ٦٠

سورة الانشقاق ٦٩

سورة البروج ٧٤

سورة الطارق ٨٤

سورة الأعلى ٨٩

سورة الغاشية ٩٦

سورة الفجر ١٠١
سورة البلد ١٠٨
سورة الشمس ١١٣
سورة الليل ١١٩
سورة الضحى ١٢٨
سورة الشرح ١٣٤
سورة التين ١٤١
سورة العلق ١٤٥
سورة القدر ١٥٨
سورة البينة ١٦٣
سورة الزلزلة ١٧١
سورة العاديات ١٨٠
سورة القارعة ١٨٨
سورة التكاثر ١٩٦
سورة العصر ٢٠١
سورة الهمزة ٢٠٧
سورة الفيل ٢١٣
سورة قريش ٢٢٠

سورة الماعون ٢٢٦
سورة الكوثر ٢٣٥
سورة الكافرون ٢٤٢
سورة النصر ٢٤٨
سورة المسد ٢٥٦
سورة الإخلاص ٢٦٣
سورة الفلق ٢٧١
سورة الناس ٢٧٧
المحتويات ٢٨٣

❊ ❊ ❊